الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

العدد ٤٢٠

السنة السادسة والثلاثون

محرم ١٤٤٣ هـ - آب ٢٠٢١م

الهجرة النبوية كانت أعظم حدث كوني، ولا يدانيه إلا حدث مثله: "إقامة الخلافة الراشدة الموعودة"

لِمَاذَا كُلُّ هَذَا الرُّعْبُ مِنَ الإِسْلَامِ؟ ص ٨

مقاصِدُ الشريعة ص ١٩

حكم الرموز والأعلام في الإسلام ص ٣٢

الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

العدد ٤٢٠

السنة السادسة والثلاثون
محرم ١٤٤٣هـ
آب ٢٠٢١م

المحتويات

- كلمة الوعي: الهجرة النبوية كانت أعظم حدث كوني، ولا يدانيه إلا حدث مثله:«إقامة الخلافة الراشدة الموعودة» ٣
- لِـمَاذَا كُلُّ هَذَا الرُّعْبُ مِنَ الإِسْلامِ؟ (١) ٨
- بالخِلافة وحدها يُقام الدين...الخلافة ليست فرضًا عاديًّا، بل هي في أول سلم الفروض، وهي تاج الفروض (٢) ١٢
- مقاصِدُ الشريعة ١٩
- الرأسمالية تسحق البشر بنظامها الجائر، والحل الوحيد هو في نظام الإسلام ٢٥
- حكم الرموز والأعلام في الإسلام (١) ٣٢
- أخبار المسلمين في العالم ٣٩
- مع القرآن الكريم: مفهوم النصر في القرآن الكريم ٤٢
- رياض الجنة: التَّخفيفُ على المسلمينَ فيما شُرِعَ لهم (٢) ٤٥
- فبهداهم اقتده: زَيْدٌ بْنُ عَمْرُو بْنُ نَفِيْلٍ ٤٨
- كلمة أخيرة: تغيير قواعد العلاقة بين الأسرة الحاكمة في السعودية والمؤسسة الدينية ٥١
- غلاف أخير: الشيخ أسامة الرفاعي: نساء منظمات المجتمع المدني مجنَّدات من الأمم المتحدة والغرب لإفساد نسائنا ٥٢

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٣٠ ريال
تركيا	١$ أميركي
باكستان	١$ أميركي
أستراليا	٢,٥$
أميركا	٢,٥$
كندا	٢,٥$
ألمانيا	٢,٥ يورو
السويد	١٥ كرون
بلجيكا	١ يورو
بريطانيا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك
النمسا	١ يورو
الدانمرك	١٥ كرون

الهجرة النبوية كانت أعظم حدث كوني، ولا يدانيه إلا حدث مثله: «إقامة الخلافة الراشدة الموعودة»

عبد الرؤوف بني عطا - أبو حذيفة

إن الله سبحانه وتعالى قد سنَّ للناس سنة ماضية لا تتخلَّف ولا تتبدَّل، وهي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ والأحداث الكونية التي تغيِّر مجرى حياة الناس ونمطَ عيشهم وثقافتهم هي أحداث نادرة الوقوع، وقد سمَّاها القرآن بإنشاء القرون، فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ٤٢﴾ أي أممًا وخلائق كما ورد في تفسير ابن كثير.

ولو عدنا إلى حدث هجرة النبي ﷺ من مكة المكرَّمة إلى المدينة المنوَّرة لوجدناه هو الحدث الأبرز إلى يوم الدين، ولن يدانيه إلا حدث مثله، وهو إقامة الخلافة الراشدة الموعودة في آخر الزمان، والتي يبعث فيها الدين من جديد، تمامًا على ما أُنزل يوم أُنزل على رسولنا الكريم.

لقد كان لليلة الهجرة قصتها المليئة بالدروس والعبر، كانت ليلة اجتمع فيها صناديد الكفر وهم عاقدو العزم على اغتيال دعوة الحق باغتيال صاحبها، انطلقوا وهم ماضو الإرادة على إطفاء نورها بقتل بدرها... اجتمعوا واجتمع معهم مكر الشيطان حتى يضيع دمه في قبائل البغي والظلم والجهل والتخلف كما تفعل أمريكا اليوم ومعها المجتمع الدولي في محاربة الإسلام عن طريق ما يسمى بالتحالف الدولي... ولكن أنَّى لهذه الجموع والأحلاف، مهما بلغت عددًا وعدة، ومهما تآمرت وأجرمت، أن تقف أمام سنَّة الله هذه في التغيير. فحدث الهجرة كانت تقف وراءه إرادة جبَّار السموات والأرض، وتعلَّق به تغيير كوني شامل طال بخيره العالم أجمع، وأراد الله سبحانه له أن يمضي إلى قيام الساعة، وهو الآن في حالة انقطاع. وكما أنه لم يستطع أن يوقف حركته وبلوغه هدفه زعماء قبائل جاهليون منتفِخون، ولا قطاع طرق مفسدون محاربون، ولا صائدو مكافآت مأفونون... وكذلك سيكون يوم عودة مثل يوم الهجرة، بعون الله وتوفيقه، وعدًا مفعولًا وقدرًا مقدورًا.

وتشاء إرادة الله سبحانه أن تتوهج لمعة الهجرة الكونية لتخطَفَ الأبصار، ولتُشرق الأرض بنور ربها وتنيرَ أبصارَ من عمي عليهم الحق ونُكِسوا على رؤوسهم، ولتمرَّ اللحظة وصاحبها بسلام من بين أيديهم تشق طريقها كأشهر لحظة كونية مرت بالعالم على مرِّ تاريخه... فسبحان خالق الكون، ربِّ العالمين... صانع لحظات تَغَيُّرِهم الحاسمة الفاصلة، فلم تمضِ إلا سويعات قليلة حتى سُمع هناك في يثرب، في طيبة الخير، أصداء خبر وصول البدر إلى ثنية وداعها، ولتصدحَ حناجر المؤمنين هاتفةً للحدث ولصاحبه ودعوته أن "طلع البدر علينا من ثنيات الوداع، وجب الشكر علينا ما دعا لله داع، جئت شرَّفت المدينة، مرحبًا يا خير داع" ليحدثَ بعدها الاستخلاف والتمكين، وليحلَّ الأمن محل الخوف... وليتجمَّعَ الجميع حول صاحب الدعوة والدولة، وليسلموا (مهاجرون وأنصار) أمرهم له عن رضا، وكلهم إيمان بالله، وانتماء لدولة الإسلام الناشئة وطاعة لنبيِّها... الكل (مهاجرون وأنصار) يرحب بالرسول وصاحبه وهم متوشِّحون سيوفهم، جاهزون لحماية هذه الدعوة ورسولها. وحتى اليهود من أهل المدينة والمنافقون من مشركيها لم يخرجوا

عن أجواء هذا الاحتفاء.

مع هذه الهجرة النبوية، وجدنا أنفسنا أمام مشهدية رائعة في سنة الصراع بين الحق والباطل: سيوف هناك في مكة تأهَّبت للقتل والإجهاز على الدعوة ورسولها من أجل حماية الكفر ونظامه. وسيوف هنا في المدينة تأهَّبت من أجل حماية رسالة الإسلام ورسولها عليه أفضلُ الصلاة وأتمُّ السلام... مؤامرة هناك في مكة حيكت لسفك دم الرسول من صناديد الأهل والعشيرة وغيرهم من الذين كفروا بدعوته فصاروا بيئة طاردة، واحتفالية وفرح هنا في يثرب بقدوم صاحب الدعوة، ليحلَّ على إخوة له مؤمنين به، ناصرين له ولدعوته، وليشكلوا له بيئة حاضنة حامية له من كل عادية. إن الهجرة النبوية كانت أعظم حدث كوني أرّخَ لبناء أعظم دولة لأعظم فكرة وأعظم أمة. إنها ذكرى فرض الله علينا أن نعيدَها من بعد ضياع، وأن يكون فينا ثلة خير من السابقين الآخرين الذين يتَّبعون السابقين الأولين بإحسان إلى يوم الدين.

نتذكر هذا الحدث وما سبقه وما رافقه من المعاناة والصبر على الأذى والتآمر، والخوف والرجاء والترقب؛ لنؤكد للجميع أننا على الدوام ننظر إلى هذا الحدث من زاوية جدُّ مختلفة، ولنتساءل معًا:

- إنه، ومن أول نزول القرآن، وفي سورة العلق تحديدًا، نزل ذكر الله الخالق للإنسان كإنسان بغض النظر عن عرقه أو لونه أو قومه أو أي اعتبار آخر، وذكر العلم والقلم والإكرام الذي يناله هذا الإنسان منهما وأولهما العلم بالله، وذكر الصراع بين الحق والباطل، وذكر الكافر الذي ينهى عن الخير والمؤمن الذي يأمر بالتقوى، وذكر المعاد والعذاب، وأمر المؤمن بأن يتقرب إلى الله بالسجود له سبحانه... فمن أول ما نزل من القرآن يفهم الإنسان أن هذه الدعوة هي له كإنسان.

- إن هذه الدعوة أتت لتكون تتمة للرسالات السابقة ولكنها بلون جديد يقوم على التوحيد، على عالمية الرسالة بعالمية النظام الذي جاءت به، والذي سار الرسول على طريق إرساء عالميته منذ خطواته الأولى، فها هو سلمان الفارسي، وبلال الحبشي، وصهيب الرومي وأبو بكر العربي قد اجتمعوا عليها على السواء... أتت لتدعو أصحاب الدعوات الأخرى من يهودية ونصرانية ومجوسية وصابئة... ولم توفر واحدة منها... أتت لتعلن البراء من كل عرقية أو عصبية ولتحصر الولاء بما جاء به هذا الدين القيِّم...

- إن هذه الدعوة أتت لتستوعب أصحاب الأديان الأخرى، وتدرجهم في رعاية دولة الإسلام حين تركت أصحابها وما يعتقدون وما يعبدون، وتركت أمور أحوالهم الشخصية من زواج وطلاق ومأكل وملبس لهم بحسب أديانهم، على أن يكون النظام العام هو النظام الذي أنزله الله على رسوله، ولتتحقق بهذا عالمية النظام.

- إن هذه الدعوة قد أتت لتعلن أنها تحمل الدين الحق للبشر، وأن كل ما عداها هو الباطل إلى قيام الساعة، فهي كما رفضت وهاجمت أفكار الشرك والكفر السائدة في زمانها من عبادة الأصنام أو النجوم أو الدهريين الذين يقولون وما يهلكنا إلى الدهر... فهي على القياس كذلك ترفض ما يسمى اليوم بالديمقراطية والاشتراكية، وتلفظ دعوات الوطنية والقومية المنتنة، وتدعو على الدوام إلى عبادة الله الواحد الأحد القهَّار...

- إن هذه الدعوة سعت من أول خطواتها إلى إقامة دولة تحكم بهذا الدين، فهو ﷺ القائل فيها لكفار قريش: "كلمة تعطونيها تحكمون بها العرب وتدين لكم بها العجم"، وهو الذي طلب النصرة لإقامة الدولة، والتي تأكَّدت قريش بطلبه لها أن الرسول ﷺ كان يدعو لإقامة دولة؛ لذلك حاربتها من هذه الزاوية محاربة شديدة وأعلنت النفير عليها، واجتمعت على قتل الرسول ﷺ لمنعها؛ ولكن الله غالب على أمره، فكانت ثمرتها بإقامتها في المدينة...

- إن الدولة التي أوجدها الرسول ﷺ في المدينة إنما وجدت لتدوم لأنها تعلَّقت بها أحكام شرعية وأنظمة حياة، بامتثالها وطاعتها تتم عبادة الله، ومتى انقطعت انقطع معها حبل العبادة ووجب استئنافها. وبتعطُّلها تتعطَّل كل الأحكام الشرعية المنوطة بها، وبإيجادها تعود للتطبيق، وبغيابها تتحوَّل طريقة تطبيق الدين من دين عالمي إلى دين فردي شبيه بدين اليهود والنصارى. وهذا قبوله والسكوت عنه إثمه عظيم ما بعده إثم، وفي عدم العمل لعودته واستئنافه غضب من الله على القاعدين ما بعده غضب.

- إن الرسول ﷺ قد اعتمد على مبدئية الدعوة وصدق المواقف من أول خطواتها حتى منتهاها للوصول إلى تحقيق هدفه. فهو عليه الصلاة والسلام لم يقبل المساومة عليها، ورفض عرض قريش له بأن يكون سيدهم، وأن يجعلوه أغناهم مقابل أن يتخلَّى عن دعوته، ورفض أن يساوم على الحكم عندما رفض عرض بنو صعصعة أن يكون الأمر أي الحكم لهم من بعده، مع أنه كان في أكثر الأوضاع شدة عليه وعلى صحابته وعلى دعوته... وهذه المبدئية نحن أحوج ما نكون إليها اليوم فنرفض معها كل ما يلبس الحق بالباطل، ونرفض معها كل إشراك لغير الله في إقامة الدولة والحكم بما أنزل الله؛ فنرفض فكرة التدرج وما فيها من قبول لغير حكم الله، ونرفض فكرة المشاركة في الحكم مع أنظمة الكفر وما فيها من تحاكم لغير شرع الله، ونرفض كل مقولات الغرب في محاولاته الحثيثة لتمييع الإسلام من مثل مقولة "خذ وطالب" و"ما لا يدرك كلُّه لا يترك جلُّه" ونرفض مقولة الديمقراطية وتفسيرها ظلمًا وعدوانًا بالشورى؛ إذ إن قبول مثل تلك المقولات إنما تنمُّ عن ضعف في الإيمان، وضعف في التفكير، وضعف في الفهم، وضعف في الالتزام... مرده التأثر بالغرب. فالرسول ﷺ نهانا أن نأخذ شيئًا مهما كان يسيرًا من خارجها، فعن جابر بن عبدالله أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه النبي ﷺ فغضب فقال: «**أمتهوِّكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو باطل فتصدقوا به. والذي نفسي بيده لو أن موسى - صلى الله عليه وسلم - كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني**». بل علينا أن نحافظ على هذه الدعوة نقية صافية كما جاء بها رسولنا الأكرم, ففي حديث رواه ابن ماجه عن العرباض بن سارية قال: وعظَنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله، إن هذه لموعظة مودع. فماذا تعهد إلينا؟ قال: «**قد تركتُكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، من يعِشْ منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة**

وإن عبدًا حبشيًّا، فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قِيد انقاد»

- إن الرسول ﷺ قد أصابته أشواك الدعوة كما أصابت أصحابه ليكون لهم وللمسلمين حتى قيام الساعة المثل والقدوة والأسوة الحسنة، فلم تقم الدولة بتدخل رباني مباشر بعيدًا عن مشاقِّ التكليف، ولم يتم في قيامها إهلاك الأقوام المناوئة والرافضة والمحاربة بنوازل من عند الله لا تبقي على أحد منهم، بل على العكس من ذلك، فقد حدثت فيها معارك وغزوات دالت على الكفار والمسلمين على السواء، حتى هلك الصناديد وآمنت بقية الناس ومنهم أبناء هؤلاء الصناديد وذراريهم... لقد قامت بشكل يجعل العمل لإقامتها متاحًا في كل زمان، ويتطلب أن تبذل له الجهود ويصبر عليه الصبر الجميل في الله، ويذاق في سبيلها البأساء والضرَّاء، كما هو حالنا اليوم؛ حتى تقوم كما قامت من قبل.

- إن هذه الدعوة أحيت الموات؛ فهي قامت في جزيرة العرب البعيدة عن مفهوم الحضارة، ومفهوم الدولة، والضاربة في العرقية والعصبية والرق والعبودية، والراتعة في ظلمات الأمية والجاهلية...

- إن هذه الدعوة لم تسيطر عليها فكرة الغلبة على الآخرين، ولا فكرة استغلالهم، ولا التنقُّص منهم... بل كان دأبها نشر هذا الدين وإدخال الناس فيه عن طريق إزالة أي عائق يحول دون اختيار هذا الدين عن طواعية واقتناع، ولهذا كانت الأكثر قبولًا وانتشارًا، وسيبقى كذلك إلى يوم الدين.

وهكذا نجد أن الدعوة في مكة بما أظهرته من مبدئية، وصبر على الأذى، ومن حرص على هداية الآخرين، وعدم الدعوة إلى الانتقام بعد ظهور الدين... وباعتمادها فقط على سلاح الحجة البالغة والكلمة الطيبة والدعوة الصادقة، وعدم الدعوة إلى استعمال السلاح في نشر الدعوة في مكة لإقامة الدولة، فلم تَسلِ الدماء، ولم تنتشر الأحقاد، ولم تنتشر ثقافة الانتقام... وكل ذلك لأن الإسلام هو دين هداية، والدولة دولة رعاية. والمسلم أحب إلى نفسه أن يهدي الناس من أن ينتقم لنفسه منهم... وهكذا نرى أن علائم المبدئية ظهرت على دعوة الرسول في مكة بشكل لافت، وكان من علائم نجاح الرسول ﷺ في دعوته العالمية أنه خرَّج رجال دولة على غير نظير في القيادة، مؤهلين لهذه المهمة العالمية، فكانت مرحلة مكة مرحلة غرس الإيمان والتطلع لحمل الدعوة إلى الناس كافة، وكانت مرحلة المدينة هي المرحلة العملية لنشر الإسلام عالميًا، وكانت الدولة الإسلامية هي الآصرة التي تطبِّق الإسلام وتحافظ عليه وتحمله وتنشره: عقيدةً ونظامَ حياة.

نعم، لقد غير يوم الهجرة واقع الناس؛ فها هم المهاجرون صارت لهم دار تسمى دار الهجرة، وصار اسم أهل المكان الأصليين الأنصار، وصار اسم "يثرب" "المدينة" و"طيبة الخير"... أسماء كلها دلالات على كيان جديد صهر المهاجرين الوافدين مع الأنصار أهل البلد في بوتقة واحدة بلا وثائق تميزهم عن بعضهم بأن هذا وافد وهذا مواطن، فالكل مسلمون يحملون وثيقة "الشهادتين" ويتفاضلون بالتقوى.

أيها المسلمون، إننا في حزب التحرير، نعلن لكم أننا نحمل الدعوة ذاتها التي جاء بها رسولنا الكريم، وسرنا وما زلنا على الطريقة ذاتها التي سار عليها ﷺ، مؤمنين بأنها الطريقة الوحيدة

التي سنتمكن بها من بناء دولة الإسلام كما بناها عليه الصلاة والسلام أول الأمر، متسلِّحين بسلاح الفكر والحجة وطلب النصرة ذاته لنحصد النتيجة ذاتها فنقيم دولة الإسلام بالمسلمين وفيهم؛ لتعود العزة لله ولرسوله وللمؤمنين في الأرض. وإننا لنبعث في دعوتنا نفس الألفاظ ودلالاتها: طريقة الرسول في حمل الدعوة، وطلب النصرة، ودار الهجرة أي دار الإسلام، والخلافة الراشدة على منهاج النبوَّة، والحكم بما أنزل الله، وإظهار الدين على الدين كله...

إن الدعوة إلى إقامة الخلافة الراشدة هي بمثابة إعلان عن حياة جديدة يرعاها نظام عالمي جديد بكل تفاصيله؟ هو نظام الإسلام، فلنكن من شهودها وجنودها وعمَّارها وأئمتها، ولنجعل من الهجرة مناسبة لهجر أنظمة الكفر وأئمته وأوليائه، وإقامة أمر الله وإظهاره على الدين كله.

لقد مضى قرن على الأمة من دون خلافة، وسيمر قرن آخر غيره إن لم تسلك الأمة طريق رسولها، وقادة الغرب يخشون أشد الخشية من أن يأتي يوم على المسلمين مثل يوم الهجرة؛ لأنهم يعلمون أن سيستأصل شأفتهم؛ لذلك نراهم يكيدون لهذه الدعوة حتى لا تصل إلى مبتغاها، ونحن علينا أن نعمل ببصر وبصيرة وصبر ونعلم أن الجنة هي سلعة الله الغالية. وعلينا أن نرفق بأمتنا فهي وإن كانت غائبة عن الوعي بفعل الكافر المستعمر وأعوانه، إلا أن هذا الغياب مفتعل وعارض ويمكن إزالته بتحري الصواب وإخلاص العمل لله وحده. وبالصبر حتى يقضي الله أمر الخير فيها فتقوم **"خلافة راشدة على منهاج النبوة"** وتتحقق البشرى.

وفي الختام، نتوجه إلى المسلمين كافة برسالة ندعوهم فيها إلى قراءة سيرة رسولنا الكريم ﷺ لتطلعوا على الطريقة الشرعية لإقامة دين الله ودولة الإسلام، ومن ثم الاطلاع على منهج حزب التحرير الذي فصَّل فيه لمشروع نهضة الأمة ببناء دولة الخلافة على منهاج النبوة، حتى يتَّبع من يتَّبع عن بيِّنة، لافتين إلى أمر في غاية الأهمية ألا وهو أن الأمر كله بيد الله، فلا قيام لأي مشروع بدون إذنه وتوفيقه، فنسأله تعالى أن نكون أهلًا للنصر والتمكين. ولأن غايتنا بناء دولة الخلافة لاستئناف الحياة الإسلامية بكل تفاصيلها بنظام الإسلام، فليست الفكرة في استعجال الإعلان عن قيام الدولة بقدر ما هو الإعلان عن قيام دولة إسلامية قادرة على الحكم بما أنزل الله حقيقة. فنحن نقدر لهذا الحدث الكوني قدره الذي يستحقه، ونصل الليل بالنهار في عمل دؤوب هادف مثمر بإذن الله تعالى، نملأ به جنبات بلادنا الإسلامية، فنحن حزب سياسي محترف ولسنا هواة مغامرين نجرب أفكارنا في حياة الناس، بل نعمل وفق رؤية ومنهج شرعي مستوحى من كتاب الله وسنة رسوله، نعمل ونحن مطمئنون إلى أن الأمر لله وأنه سبحانه متمٌّ هذا الأمر ولو بعد حين، نراه بإيماننا رأي العين... فاللهَ نرجو أن يعجِّل لنا بالنصر والتمكين؛ فيُفرج عن هذا الحدث الكوني عما قريب؛ لنعيش والمسلمين أجواء هذه اللحظات؛ فتشرق الأرض بنور ربها، ويتحقق فينا معنى الهجرة إلى الله وشريعته؛ فتهاجر أمتنا إلى رضوان الله وتخلع وتهجر كل أنظمة الكفر؛ فيتجلَّى في حركة حياتنا معنى أن لا إله إلا الله، وأن الله أكبر... وعلى الله قصد السبيل. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

لِـمَاذَا كُلُّ هَذَا الرُّعْبُ مِنَ الإِسْلامِ؟ (١)

ثائر سلامة، أبو مالك

يقول أحد كبار رموز التخطيط الاستراتيجيّ للولايات المتّحدة الأمريكيّة، المستشرق الصهيوني الشهير المعاصر«برنارد لويس»: «لقد كانت عادتنا الّتي تعوّدناها في العالم الغربيّ هي أنه: كلّما اتّجه الشرقيّون إلينا كلّما ازداد تمسُّكنا بالغرب لنجعل أنفسنا مثالًا للفضيلة والتقدُّم؛ فإذا تشبّهوا بنا عددْنا ذلك أمرًا حسنًا، وإذا لم يكونوا كذلك عددْنا ذلك سوءًا وشرًّا؛ فالتقدّم هو في التشبُّه بنا، أمّا إذا لم يقتدوا بنا فذلك هو التقهقر والاضمحلال!! إلاّ أنّ الأمر ليس كذلك بالضرورة، فعندما تصطدم حضارتان تسيطر إحداهما وتتحطّم الأخرى، قد ينبري المثاليّون والمفكّرون فيتحدّثون بطلاقة وسهولة عن تزاوجٍ بين أحسن العناصر من الحضارتين، إلاّ أنّ النتيجة العاديّة في هذا التلاقي هي تعايشٌ بين أسوأ العناصر من الاثنين[١]».

وكتب برنارد لويس أيضًا: «إن إرهاب اليوم هو جزء من كفاح طويل بين الإسلام والغرب... فالنظام الأخلاقي الذى يستند إليه الإسلام مختلف عما هو فى الحضارة الغربية المسيحية / اليهودية، وإن آيات القرآن تصدق على ممارسة العنف ضد غير المسلمين... وهذه الحرب هي حرب بين الأديان»[٢].

وكتب المفكر الاستراتيجي الأمريكي «فوكو ياما» يقول: «إن الصراع الحالي ليس ببساطة ضد الإرهاب؛ ولكنه ضد العقيدة الإسلامية الأصولية التي تقف ضد الحداثة الغربية وضد الدولة العلمانية، وهذه الأيديولوجية الأصولية تمثِّل خطرًا أكثر أساسية من الخطر الشيوعي، والمطلوب هو حرب داخل الإسلام، حتى يقبل الحداثة الغربية والعلمانية الغربية والمبدأ المسيحي: "دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله"»[٣]!.

ولقد فسر الرئيس الأمريكي الأسبق «نيكسون» مراد الأمريكان من «الأصولية الإسلامية» في كتابه: «الفرصة السانحة» فقال: «إنهم هم الذين يريدون بعث الحضارة الإسلامية، وتطبيق الشريعة الإسلامية، وجعل الإسلام دينًا ودولة، وهم وإن نظروا للماضي

١ - برنارد لويس – الغرب والشرق الأوسط – تعريب نبيل صبحي – بيروت – د.ت – ص٦٠ نقلًا عن نشوء الحضارة الإسلامية للأستاذ أحمد القصص.

٢ في «النيوز ويك» (عدد ١٤ يناير ٢٠٠٤م)

٣ في العدد السنوي « للنيوز ويك « (ديسمبر ٢٠٠١ م – فبراير ٢٠٠٢م)،

فإنهم يتخذون منه هداية للمستقبل، فهم ليسوا محافظين، ولكنهم ثوار»[٤]!.

وعلى درب هذه الشهادات، قالت «مارجريت تاتشر» رئيسة الوزراء البريطانية الأسبق: «إن تحدي الإرهاب الإسلامي إنما يشمل حتى الذين أدانوا أحداث ١١ سبتمبر وابن لادن وطالبان، يشمل كل الذين يرفضون القيم الغربية، وتتعارض مصالحهم مع الغرب [٥]»!.

فهذه شهادات من صنَّاع قرار استراتيجي، ومن مفكّرين، ومن سياسيين قادة أداروا السياسة تُجاه العالم الإسلامي، وهذا هو منظورهم لطبيعة الصراع.

وكانت أمريكا قد وضعت مواصفات للمسلم المعتدل كما جاء في دراسة وتوصيات لمركز راند المدعوم من وزارة الخارجية الأمريكية في ٢٠٠٧م استغرقت ثلاث سنوات تحت اسم «بناء شبكات مسلمة معتدلة Building Moderate Muslim Networks»[٦]

فالمسلم المعتدل، بحسب الوصفة الأمريكية، هو الذي:

١ - يرى عدم تطبيق الشريعة الإسلامية.

٢ - يؤمن بحرية المرأة في اختيار «الرفيق»، وليس الزوج.

٣ - يؤمن بحقِّ الأقليات الدينية في تولي المناصب العليا في الدول ذات الغالبية المسلمة.

٤ - يدعم التيارات الليبرالية.

٥ - يؤمن بتيارين دينيين إسلاميين فقط هما: «التيار الديني التقليدي» أي تيار رجل الشارع الذي يصلي بصورة عادية وليست له اهتمامات أخرى، و«التيار الديني الصوفي» - يصفونه بالتيار الذي يقبل الصلاة في القبور (!) - وبشرط أن يعارض كل منها ما يطرحه «التيار الوهابي».[٧]

وكتبت كارين آرمسترونغ karen Armstrong (الراهبة التي تركت الدير لتصبح

٤ نيكسون، الفرصة السانحة ص ١٤٠-١٤١ ترجمة أحمد صدقي مراد ١٩٩٢م، والأصولية بين الغرب والإسلام د. محمد عمارة ص ١٥.

٥ الأصولية بين الغرب والإسلام د/ محمد عما رة .

٦ http://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/monographs/2007/RAND_MG574.pdf

٧ تقرير « RAND 2007 « خطير جدًا .. تفاصيل خطيرة عنه يجب معرفتها! عَبْدالله بن محمد زُقَيْل.
[كتب سيد قطب رحمه الله تعالى مقالًا عام 1952م بعنوان «إسلام أمريكاني» قال فيه: « والإسلام الذي يريده الأمريكان وحلفاؤهم في الشرق الأوسط، ليس هو الإسلام الذي يقاوم الاستعمار، وليس هو الإسلام الذي يقاوم الطغيان، ولكنه فقط الإسلام الذي يقاوم الشيوعية! إنهم لا يريدون للإسلام أن يحكم، ولا يطيقون من الإسلام أن يحكم، لأن الإسلام حين يحكم سينشئ الشعوب نشأة أخرى، وسيعلّم الشعوب أن إعداد القوة فريضة، وأن الشيوعية كالاستعمار وباء. فكلاهما عدو، وكلاهما، اعتداء»....سيد قطب/ يونيه ١٩٥٢م، من كتاب "دراسات إسلامية ص ١١٩].

باحثة ومؤلفة مرموقة) قبل عشر سنوات من إطلاق جورج دبليو بوش أحدث حملة على الإسلام تقول: «يبدو أن الحرب الباردة ضد الاتحاد السوفياتي على وشك أن تستبدل بحرب باردة ضد الإسلام». وفي كتابها المعنون «محمد.. سيرة حياة نبي»، كتبت آرمسترونغ تقول: «في الغرب هناك تاريخ طويل من الشعور بالعداء تُجاه الإسلام، وما يزال هذا العداء ...إن التحامل على الإسلام هو الذي دفع بالسكرتير العام لحلف شمال الأطلسي للقول عام ١٩٩٥م بأن الإسلام السياسي لا يقلُّ خطورةً على الغرب من الشيوعية.»

وقال يوجين روستو Eugene Rostow[٨]: «يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب؛ بل خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية...إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا هي جزء مكمل للعالم الغربي فلسفته وعقيدته ونظامه، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي،

ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام، وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية؛ لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها»[٩].

وطبقًا للمؤرخ والمفكر صامويل هنتينغتون، فإن أحد كبار المسؤولين في إدارة الرئيس الأمريكي السابق كلينتون وصف الإسلام بأنه نِدٌّ عالمي للغرب. كما كتب هنتينغتون لاحقًا: «خلال الفترة بين ١٩٨٠ـ ١٩٩٥ نفذت الولايات المتحدة ١٧ عملية عسكرية في الشرق الأوسط، طبقًا لوزارة الدفاع الأمريكية، وكانت جميعها تستهدف المسلمين، وهو رقم لم يسجله التاريخ العسكري للولايات المتحدة ضد أي شعب من أي حضارة أخرى.»

وكتب هنتينغتون في كتابه الشهير «صراع الحضارات»: «إن المشكلة بالنسبة إلى الغرب ليست مشكلة الأصوليين الإسلاميين، بل المشكلة بالإسلام نفسه، الذي يمتلك حضارة

٨ رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية، ومساعد وزير الخارجية لشؤون الأمنلقومي، ومستشار للرئيس الأمريكي السابق ليندون جونسون لشؤون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧م.

٩ جلال العالم، قادة الغرب يقولون: أبيدوا الإسلام، دمروا أهله، القاهرة، المختار الإسلامي للطباعة ط ٢، ص ٢٤-٢٥، وظاهرة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا) في الغرب، أسبابها، مظاهرها، ونتائجها، إياد صلاح شاكر. دار الكتب العلمية، ص٥٠.

مختلفة يؤمن أصحابها بتفوقها... المشكلة في الغرب نفسه ذي الحضارة المختلفة والتي

يؤمن أصحابها بتفوقها وصلاحيتها كنظام عالمي، يرغبون في فرض هذه الحضارة على العالم.«[١٠] ودعنا نشدد على عبارة «فرض هذه الحضارة على العالم».

وحينما سألت ليسلي شتال مقدمة البرامج من قناة سي بي أس الأمريكية وزيرة الخارجية الأمريكية الصلفة المتعجرفة مادلين أولبرايت: «هل تعتبرين دم نصف مليون طفل عراقي، إبادة كل تلك الضحايا ثمنًا يستحق العملية؟، فأجابت المتعجرفة الديمقراطية أولبرايت: «أعتقد أن هذا اختيار في منتهى الصعوبة؛ لكن الثمن كما نرى يستحق»[١١].

ومن المعروف أن العملية كانت من أجل النفط، ومصالح الشركات الأمريكية الكبرى، ولإحكام سيطرة وسيادة واستعمار أمريكا للمنطقة، وفرضُ نمطِ معيشَتها على العراقِ وأهلهِ.

«إنهم يعلمون أننا نمتلك بلدهم، إننا نفرض عليهم الطريقة التي يعيشون ويتحدثون بها، وهذا هو الشيءُ العظيمُ بالنسبة لأمريكا في الوقت الراهن، إنّهُ شيءٌ طيبٌ، خاصة عندما يكون هناك قدرٌ كبيرٌ من النفطِ تشتدُّ حاجتنا إليه» اللواء وليام لوني، قائد القوات الجوية الأمريكية التي قامت بقصف العراق.[١٢]

في ٧ كانون الثاني ١٩٩١م، أوضح الرئيس الأمريكي السابق ريتشارد نيكسون في جريدة نيويورك تايمز بأنه «نحن لا نذهب إلى هناك للدفاع عن الديمقراطية؛ لأن الكويت ليست بلدًا ديمقراطيًا، ولا يوجد بلد ديمقراطي في المنطقة، ونحن لا نذهب إلى هناك للدفاع عن الشرعية الدولية، نحن ذاهبون إلى هناك وعلينا أن نفعل ذلك لأننا لا نسمح لأحد أن يمس مصالحنا الحيوية»[١٣]. ■

١٠ عبد الحي زلوم: **الإسلام... العدو الجديد بعد الشيوعية والولايات المتحدة وحلفاؤها هي "فزاخة الإرهاب"**

١١ **أنظر المقابلة على هذا الرابط**، كذلك جون بيلجر: حكام العالم الجدد ص ٨٠

١٢ حكام العالم الجدد جون بيلجر ص ٨٠

١٣ أمريكا المستبدة وسياسة السيطرة على العالم «العولمة» مايكل بوغنون موردانت ص ١٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

بالخِلافة وحدها يُقام الدين...

الخلافة ليست فرضًا عاديًّا، بل هي في أول سلم الفروض، وهي تاج الفروض (٢)

عبدالخالق عبدون علي

عضو المكتب الإعلامي لحزب التحرير - ولاية السودان

عندما نقول إن الخلافة هي تاج الفروض فلما يلي:

أولًا: إنه لا يختلف اثنان من المؤمنين بأن رسالة الإسلام تفرّدت عن غيرها من الرسالات بأنها أتت للناس كافة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾، فهي صالحة لكل زمان ومكان، وفيها معالجات لجميع مشاكل الإنسان مهما تغيّرت هذه المشاكل وتنوّعت إلى يوم الدين، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾. كما أن الإسلام تميَّز عن غيره من المبادئ أنه دين وحضارة، وامتاز بأنه واقعي عملي، ينطبق على واقع الإنسان وليس دينًا نظريًا، بل نزل للعمل به؛ لذلك لم يقتصر الإسلام على الأفكار من بيان العقيدة والمعالجات فقط، بل بيّن كيفية تنفيذ هذه المعالجات، وكيفية حماية العقيدة، وكيفية حمل هذه العقيدة إلى العالم، وكانت هذه هي طريقته.

والطريقة أحكام شرعية فيها الأوامر والنواهي، فإن كان وجوب الإيمان والنهي عن الارتداد من الفكرة، كان التعامل مع المرتد وتطبيق الأحكام عليه من الطريقة. وكما أمرنا الله سبحانه وتعالى بالعفَّة ونهانا عن الزنا، وأمرنا بحفظ الملكية الفردية ونهانا عن السرقة؛ فإنه كذلك بيّن لنا كيفية المحافظة على العِرض وعقوبة الزاني، وبيَّن لنا أحكام النهب والاختلاس وحد السرقة، وهذه كلها أحكام شرعية يجب التقيُّد بها دون حيد، قال عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمَا ٦٥﴾، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وحاشى لله أن ينزّل أحكامًا شرعية لمعالجة مشاكل الإنسان دون بيان كيفية تنفيذ هذه الأحكام، كأن يقول لنا: لا تزنِ، ولا تسرقْ، ولا تشربِ الخمر... ثم يتركنا هكذا؛ لأنه بذلك تصبح المعالجات فلسفة خيالية لا يمكن تطبيقها على الواقع، وهذا يخالف ما عليه الإسلام الذي ما ترك صغيرة ولا كبيرة إلا بيَّنها للإنسان، ولم يترك مجالًا لأحكام

الهوى والعقل أن تحكم البشر، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا يُؤْمِن أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُون هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**» [صحيح البخاري]. ومن أوامر الله ونواهيه أنه أمرنا بالحكم بالإسلام ونهانا عن الحكم بغيره، قال سبحانه: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المائدة: ٤٩]، وقد بيَّن لنا كيفية تنفيذ هذا الحكم، فشرّع نظامًا تفصيليًا للحكم هو نظام الخلافة، بيّن فيه أجهزة الخلافة وشروط الخليفة والبيعة وأجهزة الدولة وغيرها من تفصيلات. وقد بيَّن حزب التحرير ذلك تفصيليًا في كتابي (نظام الحكم في الإسلام) و(أجهزة دولة الخلافة في الحكم والإدارة) وهما من منشورات حزب التحرير؛ فكانت هذه هي طريقة الإسلام لتنفيذ أمر الله بالحكم بما أنزل على رسوله ﷺ وهي نظام الخلافة، الذي يبايع فيه الناس خليفة على كتاب الله وسنة نبيِّه لينوب عنهم بتنفيذ شرع الله داخل الدولة؛ فيحافظ بذلك على عقيدة الأمة، ويمنع ظهور الكفر البواح، وينفذ الفروض، ويمنع المحرمات، ويأخذ الزكاة ويردها إلى مستحقِّيها، ويقيم الحدود، ويفصل الخصومات، ويرعى شؤون الناس، ويحمل الإسلام رسالة إلى العالم بالدعوة والجهاد، وبذلك يكون الإسلام حيًّا يمشي على الأرض يُطبَّق على الناس ويُحمل للعالم، وهذا لا يكون إلا بالخلافة؛ لذلك كانت تاج الفروض.

ثانيًا: ومما جعل الخلافة تاج الفروض، أن الإنسان بطبيعته بحاجة إلى إشباع غرائزه وحاجاته العضوية، وهذا الإشباع يحتاج إلى تنظيم معيَّن، وإلا عاش الإنسان مضطربًا في شقاء. ولا يستطيع الإنسان أن يضع نظامًا من نفسه لنفسه؛ لأنه ناقص وعاجز ومحتاج لغيره؛ لذلك كان يجب أن يكون هذا النظام من الخالق الذي خلق الإنسان وخلق معه الغرائز والحاجات العضوية، وهو سبحانه العالِم بكيفية تنظيم هذا الإشباع، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤]؛ وعليه كانت رسالة سيدنا محمد ﷺ هي النظام المنزَّل من الخالق لتنظيم إشباع غرائز الإنسان وحاجاته العضوية، فشرَع نظامًا مخصوصًا للعبادات نظَّم من خلاله إشباع غريزة التدين، وشرَع نظامًا اجتماعيًّا نظَّم من خلاله إشباع غريزة النوع، وشرَع نظامًا اقتصاديًّا وسياسيًّا فنظَّم من خلاله إشباع غريزة البقاء، وشرَع أحكامًا للمطعومات والمشروبات نظَّم من خلالها إشباع الحاجات العضوية. إلا أن هذه الأنظمة والأحكام لا يمكن أن تنظِّم حياة الإنسان وهي في بطون الكتب نتغنّى بها وبجمالها وكمالها، بل لا بد من أن تطبَّق في

الحياة ليتحقَّق الإشباع المؤدِّي إلى السعادة والطمأنينة فعليًّا، فقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ﴾ [البقرة: ٢٢١]، وغيرها من أحكام الله لا تظهر نتائجها إلا بجعل الإسلام في الحكم، ولا يكون الإسلام في الحكم إلا بإقامة الخلافة التي تُلزم الناس بهذه الأحكام وتعاقب كل من يخالفها. وإقامة الخلافة لا تكون إلا بإعطاء الأمة -بالرضا والاختيار- سلطانها عن طريق البيعة لخليفة ينفِّذ أحكام الله عليها وينظِّم علاقات الناس على أساسها، ليتمَّ إشباع الغرائز والحاجات العضوية وَفق شرع الله، من هنا أيضًا تكون الخلافة تاج الفروض.

ثالثًا: لو نظرنا من ناحية المجتمع سنجد أن رقي المجتمع وطمأنينة الإنسان فيه يعتمدان على ما يعتبره الناس أنه مصلحة، وعلى النظام الذي ينظِّم العلاقات والأفكار التي تشكِّل القناعات والمشاعر لدى الناس، فكان يجب أن تكون المصالح راقية ويكون النظام صحيحًا. وقد أثبت الواقع العملي أن الإنسان غير قادر على أن يضعَ لنفسه نظامًا صحيحًا أو يحدد المصالح الراقية، فحين تُرك الإنسان دون هداية وأَد البنات، وقطَع الطريق، وعبَد الحجر، وباشَر الزنا، وضيَّع الأنساب. ولم يحيَ الإنسان حياة كريمة إلا عندما أرسل الله سبحانه وتعالى له النظام الربّاني الذي بيَّن المصالح الراقية والأفكار المستنيرة والمشاعر السامية، فأرشد الإنسان إلى ما هو نافع له، وحدَّد الخير والشر، والحسن والقبيح. قال تعالى: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧٤﴾ [النحل : ٧٤]. هذا وقد كان لهذا النظام الشرعي طريقة مخصوصة لتجسيده في علاقات الناس، هي الخلافة؛ لأن تنظيم العلاقات وفصل الخصومات ورعاية المصالح على أساس الإسلام لا يكون إلا بالحكم بما أنزل الله، وهذا لا يكون إلا بنظام الخلافة. ولو تفحَّصنا سيرة المصطفى ﷺ، لوجدنا أنه عليه الصلاة والسلام لم يرعَ مصالح الناس ولم يقضِ بخصومة ولم يجيِّش جيشًا، ولم يقدّم لأصحابه شيئًا وهم يسامون أنواع العذاب في مكة؛ لأن الإسلام لم يكن نظامًا للمجتمع المكيّ آنذاك، والرسول ﷺ لم يكن حاكمًا له؛ ولكنه حين استلم الحكم في المدينة، قضى بين الناس، وفصل الخصومات، وأخذ المال ووزَّعه، وأقام الحدود، وأمَّر الأمراء، واستقبل الوفود، وأبرم المعاهدات، وساس الناس بما أنزل الله ورعى مصالحهم بالإسلام، وخلَفه بذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين، ساروا على نهج النبوة؛ فحفظوا عقيدة الأمة، وجمعوا القرآن، وضربوا أروع

الأمثلة في رعاية الناس، فكان مجتمعهم يُساس على أساس الإسلام، راقية فيه المصالح والأفكار والمشاعر، فكان الناس يعيشون في طمأنينة وسعادة، سعادة تطبيق دين الله. ولم يكن ذلك إلا بالخلافة التي يطلق عليها حقًّا أنها تاج الفروض.

رابعًا: مما يعزّز كون الخلافة تاج الفروض، أن الله سبحانه وتعالى أمر بتبليغ الإسلام وحمله للعالم، وكان ذلك واضحًا في سيرة الرسول ﷺ حين قال: «**يا عمّ، إنما أردتُهم على كلمة واحدة تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم بها العجم الجزية...**» وما أدلُّ على ذلك من نص بيعة العقبة الثانية التي قال فيها العبّاس بن نضلة الأوسي: «يا معشر الأوس والخزرج، تعلمون على ما تقدمون عليه؟ إنّما تقدمون على حرب الأحمر والأبيض وعلى حرب ملوك الدنيا...» حتى إنها سمُّيت ببيعة الحرب، وبعد أن أُقيم حكم الإسلام في المدينة، وكان رسول الله ﷺ حاكمًا للدولة الإسلامية، حمل رسالة ربه بالدعوة والجهاد للأمم الأخرى، ولم يتوقّف عند حدود المدينة، وكانت الدعوة التي يحملها إلى الأمم هي: «**فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ أَوْ خِلاَلٍ، فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ. ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلاَمِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ. ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمْ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ** » صحيح مسلم.

فحمل الإسلام بالدعوة والجهاد واجب على المسلمين بالطريقة التي سار عليها رسول الله ﷺ؛ إلا أن هذا بحاجة أولًا إلى تطبيق الإسلام على المسلمين وإقامة دار إسلام ليتحوّل إليها الناس القابلين على الإسلام، وهذا لا يكون إلا بإقامة الخلافة، وثانيًا بحاجة إلى تنظيم جهود الأمة وطاقاتها تحت قيادة واحدة، وهذا لا يتحقَّق إلا بمبايعة خليفة يطبِّق الإسلام ويحمله بالدعوة والجهاد مع الأمة إلى العالم؛ فمن هنا أيضًا تكون الخلافة تاج الفروض.

وهذا ليس كلامًا غريبًا على المسلمين، بل قد أجمع علماء الأمة المعتبَرين على أن الخلافة هي تاج الفروض، فعلى سبيل المثال لا الحصر يقول الإمام الماوردي في كتابه (أدب الدنيا والدين): «فليس دين زال سلطانه إلا بُدّلتْ أحكامُه، وطُمستْ أعلامُه... لما في السلطان من حراسة للدين والذبِّ عنه، ودفع الأهواء منه... ومن هذين الوجهين وجب إقامة إمام يكون سلطان الوقت، زعيم الأمة؛ ليكون

الدين محروسًا سلطانه، والسلطان جاريًا على سنن الدين وأحكامه». والإمام ابن حزم يقول في كتابه (المحلَّى): «ولا يجوز التردُّدُ بعد موت الإمام في اختيار الإمام أكثر من ثلاث» وفي كتابه (الفصل في الملل والنحل): «وقد علمنا بضرورة العقل وبديهيته أن قيام الناس بما أوجبه الله من أحكام عليهم في الأموال والجنايات والدماء والنكاح، وإنصاف المظلوم، وأخذ القصاص... وأن ذلك لا يقوم إلا بالإمام». ويصف الإمام أحمد بن حنبل الفتنة بقوله: «الفتنة إذا لم يكن إمام يقوم بأمر الناس». والإمام الغزالي يقول: «الدين والسلطان توأمان؛ ولهذا قيل الدينُ أسٌّ والسلطان حارس، فما لا أسَّ له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع»، ويقول ابن تيمية في كتابه (السياسة الشرعية): «يجب أن يُعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين إلا بها».

وليست الخلافة مجرد فرض بل هو أعلاها، هو تاج الفروض؛ لأنه لا يمكن لأحكام الله أن توجد على الأرض إلا بإقامة الخلافة؛ فيجب أن تكون الخلافة هي القضية المصيرية الأولى للأمة؛ لأن كل الفروض التي تصون حياة الإنسان وعِرضه وماله وعقله وكرامته لا تقوم إلا بالخلافة، فمن الذي يطبِّق القصاص، ويؤمِّن المال، ويمنع السرقة، ويحمي الأعراض سوى الخلافة، ومن سواها يعدُّ العدة للجهاد، ويجيِّش الجيوش، ويُرهبُ الأعداء، ويحفظ العزة للمسلمين، ويعلن النفير العام لحماية النساء والشيوخ والولدان... فإن كانت هذه كلها قضايا مصيرية، فإن الخلافة هي جماع القضايا المصيرية التي تستحق اتخاذ إجراء الحياة أو الموت تُجاهها.

والأدلة مستفيضة، من كتاب الله الكريم وسنة رسول الله ﷺ وإجماع الصحابة رضي الله عنهم، على وجوب اتخاذ الخلافة قضية مصيرية، فالله سبحانه أمرنا بالحكم بالإسلام في آيات كثيرة، ذكرناها سابقًا، والرسول ﷺ أمرنا بمبايعة خليفة في أكثر من مرة، روى الإمام مسلم أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جاهلية**» وقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم على فرضية إيجاد خليفة بعد وفاة الرسول ﷺ، حتى إنهم لم يدفنوا جسد الرسول الطاهر وتركوه مسجّى على فراشه ليلتين واشتغلوا بتنصيب الخليفة.

ومنذ أن هدمت الخلافة في ذلك اليوم الأسود ونحن المسلمين تحيط بنا المصائبُ والفتن، ويلفُّنا القتل من قُدّامنا ومن خلفنا؛ فيهود الذين ضُربت عليهم الذِلةُ والمسكنة مكّنتهم بريطانيا من فلسطين أرضِ الإسراء والمعراج، ورسّخت أقدامهم أمريكا التي جمعت أمم الأرض لتحارب الإسلام وعودة الخلافة، فحطّموا العراق وأفغانستان تحطيمًا،

ويذهب رئيسها ترامب إلى الهند، فينقضُّ الهندوس على المسلمين هناك قتلًا وفتكًا... وفي الصين يُسجن شعب بأكمله لأنّهم مسلمون، أمّا في البلاد التي ثار المسلمون فيها على النِّظام الغربيِّ وعملائه، فتكالبت عليهم أمم الأرض يساندون جزّار الشّام في ذبح المسلمين هناك كلّ يوم، ويتدخّلون في اليمن وليبيا اللتين أغرقوهما في حروب عبثيّة، تُمزّقهما تمزيقًا.

لقد شاهدنا نحن المسلمين بأمِّ أعيننا مآسيَ لا تُحصى منذ هدم الخلافة، شاهدنا سفك دمائنا على أيدي أعدائنا في طول البلاد وعرضها، من جبال الفلبّين إلى أودية كشمير، إلى غابات القرم، وسمعنا آهات الثّكالى وبكاء اليتامى وأنين الجوعى يفتق جِراحاتٍ أنّى لها أن تندمل! لقد شاهدنا كيف أنّ (العالم الحرّ) يفرض نموذج اقتصاده المدمّر، ونظامه الاجتماعيّ الأجوف على أرض المسلمين، رأيناهم ينهبون ثرواتِنا، ويُضعِفون مؤسّساتِنا الاجتماعيّة! نعم، هذا ما جنيناه بعد هدم الخلافة.

إن الخلافة هي البضاعةُ والصناعة، هي العزّةُ والمنعة، هي حافظةُ الدين والدنيا، هي الأصلُ والفصل، بها تقام الأحكام، وتحدُّ الحدود، وتفتح الفتوح وترفع الرؤوس بالحق. هي التي شَرَع المسلمون بها قبل أن يشرعوا بتجهيز رسول الله ﷺ ودفنه صلوات الله وسلامه عليه، على أهمية ذلك وعظمته، وكل ذلك لعظم الخلافة وأهميتِها حيث رأى كبارُ الصحابة أن الاشتغال بها أولى من ذلك الفرض الكبير: تجهيز الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

والخلافةُ هي التي تقضي على كيان يهود وتعيد فلسطين كاملة إلى ديار الإسلام... هي التي تقضي على سلطان الهندوس في كشمير، وحكم الروس في الشيشان وكل القفقاس وتتارستان... هي التي تعيد القرم وكلَّ بلاد الإسلام إلى أصلها وفصلها... هي التي تحرر البلاد والعباد من نفوذ الكفر وعملائه، وبطش زبانيته وأزلامه... هي التي تمنع تمزُّق العراق والسودان، وتعيد اللحمة إلى الصومال، وتزيل الحدود والسدود التي رسمها الكفار المستعمرون من أطراف المحيط الهادي حيث إندونيسيا وماليزيا إلى شواطئ الأطلسي حيث المغرب والأندلس... هي التي تنشر العدل والخير، وتُعز الإسلام والمسلمين، وتقطع دابر الظلم والشر، وتُذل الكفر والكافرين. فإلامَ نعيش في هذا الواقع الذي ورثناه جرَّاء هدم الخلافة؟!... ألم يكفِ مائة سنة من الوقوع في الإثم لمن لم يعمل لإيجاد الخليفة وبيعته بأن يتوب ويثوب ويعملَ مع العاملين؟!... ألم يقلِ الرسول ﷺ: «ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»؟!... ثم ألم يإنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل

من الحق؟!... ألم تكفِ مائة سنةٍ من الضَّياع وعدم وجود الخلافة حتى أصبحنا كالأيتام على مائدة اللئام؟!... ألم تكفِ تلك السنون لنصحوَ ونستيقظ؟!... ألم تكفِ مائة سنةٍ من تداعي الأمم علينا كتداعي الأكلة إلى قصعتها لأن نعتبر ونتعظ!؟... ألم يكفِ مائة سنةٍ من توالي المصائب على رؤوسنا؟!...

إن القعود عن إقامة خليفة للمسلمين معصية من أكبر المعاصي؛ لأنها قعود عن القيام بفرض من أهم فروض الإسلام، يتوقف عليه إقامة أحكام الدين، بل يتوقف عليه وجود الإسلام في معترك الحياة. فالمسلمون جميعًا آثمون إثمًا كبيرًا في قعودهم عن إقامة خليفة للمسلمين، فإن أجمعوا على هذا القعود كان الإثم على كل فرد منهم في جميع أقطار المعمورة، وإن قام بعض المسلمين بالعمل لإقامة خليفة، ولم يقمِ البعض الآخر، فإن الإثم يسقط عن الذين قاموا يعملون لإقامة الخليفة، ويبقى الفرض عليهم حتى يقوم الخليفة؛ لأن الاشتغال بإقامة الفرض يسقط الإثم على تأخير إقامته عن وقته وعلى عدم قيامه؛ لتلبُّسه بالقيام به، ولاستكراهه بما يقهره عن إنجاز القيام به. أما الذين لم يتلبَّسوا بالعمل لإقامة الفرض، فإن الإثم بعد ثلاثة أيام من ذهاب الخليفة إلى يوم نصب الخليفة يبقى عليهم؛ لأن الله قد أوجب عليهم فرضًا ولم يقوموا به، ولم يتلبَّسوا بالأعمال التي من شأنها أن تقيمه؛ ولذلك استحقُّوا الإثم، فاستحقُّوا عذاب الله وخزيه في الدنيا والآخرة. واستحقاقهم الإثم على قعودهم عن إقامة خليفة، أو عن الأعمال التي من شأنها أن تقيمه، ظاهر صريح في استحقاق المسلم العذاب على تركه، أي ترك فرض من الفروض التي فرضها الله عليه، لاسيَّما الفرض الذي به تُنفَّذ الفروض، وتُقام أحكام الدين، ويعلو أمر الإسلام، وتصبح كلمة الله هي العليا في بلاد الإسلام، وفي سائر أنحاء العالم.

وعليه فإنه لا يوجد عذر لمسلم على وجه الأرض في القعود عن القيام بما فرضه الله عليه لإقامة الدين، ألا وهو العمل لإقامة خليفة للمسلمين حين تخلو الأرض من الخلافة، وحين لا يوجد فيها من يقيم حدود الله لحفظ حرمات الله، ولا من يقيم أحكام الدين، ويجمع شمل جماعة المسلمين تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله. ولا توجد في الإسلام أي رخصة في القعود عن القيام بهذا الفرض العظيم حتى يقوم.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

مقاصِدُ الشريعة

مقاصِدُ الشريعةِ مُرَكَّبٌ إضافِيٌّ ومُصطَلَحٌ أُصولِيٌّ يَقتَضِي التَعريفَ بِهِ ابتِداءً، وَبيانَ نَشأَتِهِ كمَصطَلَحٍ عِندَ الأُصوليين. (جاءَ في المَوسوعَةِ الفِقهِيَّةِ الكُويتِيَّةِ(٣٢٩/٣٨): «الْمَقَاصِدُ فِي اللُّغَةِ: جَمْعُ مَقْصِدٍ، وَهُوَ: الْوِجْهَةُ أَوِ الْمَكَانُ الْمَقْصُودُ، وَفِي الاِصْطِلاَحِ: لَمْ يَتَعَرَّضْ عُلَمَاءُ الأُصُول إِلَى تَعْرِيفِ الْمَقَاصِدِ، وَالَّذِي يُسْتَخْلَصُ مِنْ كَلاَمِهِمْ فِي ذَلِكَ: أَنَّهَا الْمَعَانِي وَالْحِكَمُ الْمَلْحُوظَةُ لِلشَّارِعِ فِي جَمِيعِ أَحْوَال التَّشْرِيعِ أَوْ مُعْظَمِهَا، بِحَيْثُ لاَ تُخْتَصُّ مُلاَحَظَتُهَا بِالْكَوْنِ فِي نَوْعٍ خَاصٍّ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ...» انتهى. لَقد بدأَ ظُهورُ هذا العلمِ – والله أعلم – على يَدِ إمامِ الحَرمَينِ أَبي المَعالِي عبدِالملكِ الجُوينيِّ (ت: ٤٧٨ هـ)، في كتابِهِ:(البرهان) وَتبعَهُ في ذَلكَ تِلميذُهُ الغزالِيُّ (ت: ٥٠٥هـ) ثُمَّ الإمامُ عِزُّ الدينِ بنُ عبدِ السلامِ (ت: ٦٦٠هـ) صاحبُ كتابِ: (قَواعِدِ الأَحكامِ في مَصالحِ الأَنامِ)، وتَتابعَت الكِتاباتُ فيه وَبلغَت مدىً كبيرًا في العُمقِ والتَّفصيلِ عِندَ الإمامِ أَبي إسحقَ إبراهيمَ بنِ موسى الغَرناطِيِّ المالِكِيِّ، المعروفِ بِالشاطِبِيِّ (ت: ٧٩٠هـ) في كتابِهِ:(الموافقات)، والذي صارَ هو الـمُعوَّلَ عليهِ في فَهمِ هذا العِلمِ والغَوصِ إلى دَقائِقِهِ، وَيكادُ يكونُ هوَ المَرجعَ الـمُعتَمدَ الوحيدَ في هَذا العِلمِ إلى يَومِنا هذا، رحمهم الله جميعًا.

إنَّ أُوْلَىٰ مُقَدِّماتِ مَباحِثِ مَقاصِدِ الشَّريعَةِ كَما قَرَّرها الأَوَّلونَ هُوَ أَنَّها مَصالحُ العِبادِ في الدُّنيا والآخِرَة، فهم يقولونَ: إنَّها مَصالحُ العِبادِ في العاجِلِ والآجِل معًا. فيقولُ الشاطِبِيُّ على سبيلِ المثال: «إنَّ وَضعَ الشرائِعِ إنما هوَ لمصالحِ العِبادِ في العاجِلِ والآجِلِ معًا...» [الموافقات: (٢/٢)]، ويقولُ أيضًا: «وَالشَّرِيعَةُ الْمُبَارَكَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ مَنَزَّلَةٌ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَتْ محفوظة في أصولها وفروعها كما قال تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الْحِجْرِ: ٩]؛ لِأَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى حِفْظِ الْمَقَاصِدِ التي بها يكون صلاح الدارين وَهِيَ: الضَّرُورِيَّاتُ، وَالْحَاجِيَّاتُ، وَالتَّحْسِينَاتُ، وَمَا هُوَ مُكَمِّلٌ لَهَا وَمُتَمِّمٌ لِأَطْرَافِهَا...» [الموافقات: (١٠٨/١)]. وَيَشيعُ اليومَ بينَ كثيرٍ مِنَ رُوَّادِ الدَّعوَةِ إلى إعمالِ مَقاصِدِ الشَّريعَةِ في مُعالَجَةِ كَثيرٍ مِنَ المَواضِيعِ الـمُعاصِرَةِ، أَو في تَجديدِ الفِقهِ أَو استِنباطِ أَحكامِ الـمُستَجدَّاتِ اعتِبارُهُم الـمَصالحَ والـمَفاسِدَ بِحَسبِ المَعانِي الشَّائِعَةِ لِهذِهِ الأَلفاظِ، أَو بِعبارَةٍ أَدقٍّ بِحسبِ ما يُوافِقُ الـمُيولَ وَالأَغراضَ الإنسانِيَّةَ وَحُظوظَ النَّفسِ. وَهذا التَعَدِّي مِمَّن تَطَفَّلوا على هَذا العِلمِ يَقتَضِي الفَصلَ بَينَ ما قَرَّرهُ الأَوَّلونَ مِن قَواعِدَ لا تُخرِجُهُ عَن انضِباطِهِ واتِّساقِهِ بِالشَّريعَةِ فَهمًا وَالتِزامًا كما أَرادَ الشَّارِعُ، وَبينَ ما قَرَّرَهُ الـمُعاصِرونَ مِن قَواعِدَ

واستِنباطاتٍ تُخالِفُ الشَّرعَ، سالِكينَ في ذَلِكَ طُرقًا مُعوَجَّةً نَسَبوها إلى الأَوَّلينَ وخُصوصًا إلى الشَّاطِبِيِّ رَحمَهُ اللَّه. وَمِن ذلِكَ ما جاءَ عَندَ أَحمدِ الرَّيسونِيِّ في كتابِه:(نَظَرِيَّةُ الـمَقاصِدِ عِندَ الإمامِ الشَّاطِبِيِّ) ص. ١٠ قولُه: «فَفي بابِ الرُّخَصِ مَثلًا، لا شَكَّ أَنَّ رَفعَ الـمَشاقِّ عَنِ النَّاسِ وَالتَخفيفَ عَنهُم هِيَ الحِكمَةُ وَالـمَقصودُ، وَهِيَ العِلَّةُ الحَقيقِيَّةُ لِلرُّخَصِ الشَّرعِيَّةِ؛ وَلَكِنَّ الشَّارِعَ لا يَقولُ لِلمُكَلَّفينَ كُلَّما وَجَدتم عَنتًا فَترخَّصوا، وَإِنَّما حَدَّدَ لَهُم أَماراتٍ مَعروفَةً وَأَسبابًا مُعَيَّنَةً هِيَ ما يُسَمِّيهِ الأُصولِيُّونَ الأَوصافَ الظَّاهِرَةَ الـمُنضَبِطَةَ أَو العِلَلَ بِناءً عَليها يَقعُ التَّرخيص كالسَّفَرِ والمَرَضِ وَالعَجزِ وَالاضطِّرارِ وَالإكراه، وأَما ما سِوى هَذِهِ من صُوَرِ الـمَشاقِّ التي لا حَصرَ لَها مِمَّا لَم يُسَمِّهِ الشَّارِع، فَقد تَرَكَ تَقديرَها وَتقديرَ ما تَستَحِقُّهُ من تَرخيصاتٍ لِلمُجتهِدينَ والـمُفتينَ المُوَقِّعينَ عن رَبِّ العالَمين...» انتهى.

لِذلِكَ وَجَبَ تَعيينُ شُروطٍ وقواعِدَ صحيحَةٍ تكونُ مُنطلَقًا لِهذا البحثِ يَتِمُّ الفَصلُ بِموجَبِها بينَ ما قَرَّرَهُ الأَوَّلونَ وما استَحدَثَهُ الـمُعاصِرون، وَهِيَ بِالإجمال اثنان:

الأَول: إِنَّ هَذِهِ المَقاصِدَ هِيَ مَقاصِدُ الشَّارِعِ لا مَقاصِدَ الـمُكَلَّف، فَالشَّارِعُ وهوَ اللَّهُ تعالى هُوَ الذي جَعلَها إما مقاصِدَ للشريعَةِ كَكُلٍّ، أَو مقاصِدَ لِكُلِّ حُكمٍ على حِدة.

الثاني: إِنَّ هذه المقاصدَ هي مقاصدُ الشارع من الشريعة أَي مِنَ الأحكام، فمصدرُ فهمِها الأحكامُ الشرعيَّةُ. فلا بُدَّ أَن يَكونَ هُناكَ رَابط بَينَ الحُكمِ وَنتيجَتِهِ أَو هَدفِه، أَي بينَ الحُكمِ ومَقصِدِه.

لقد نَشأَت فِكرَةُ الـمَقاصِدِ على يَدِ إمامِ الحَرَمينِ الجُوَينِيِّ - رحمهُ الله - وَذلِكَ نتيجَةَ مُجادَلاتٍ في العِلَّةِ وَمسالِكِها بَينَ الـمَذهَبَينِ: الشافِعِيِّ والحَنَفِيِّ، وَكانَ من هذا الجِدالِ الاستِدلالُ بالقِياسِ وَبِعِلَلٍ مُعَيَّنَةٍ، وَجَرى الخِلافُ في هَذِهِ العِلَلِ وَصلاحِيَّتِها لِلتَّعليلِ؛ وَأَدَّى هَذا الخلافُ إلى ظُهورِ فِكرَةِ الـمَقاصِد؛ وذلك أَنَّ القياسَ دليلٌ شرعيٌّ على الأَحكامِ. وَالعِلَّةَ ركنٌ فيه فَلا يَتمُّ إلا بها، ولا بُدَّ لإثباتِ العِلَّةِ الشرعِيَّةِ من دَليلٍ يَدلُّ عليها، ثُمَّ يَجبُ أَن تَتوفَّرَ لِلعِلَّةِ شُروطٌ كَي يَصِحَّ التَّعليلُ بِها وإلا لم تُعتبر. وهذا ما نَجدهُ في مَباحِثِ القياسِ عِندَ الأُصوليينَ تَحتَ عَناوينِ مسالكِ العلةِ أو طرقِها أو أدلَّتِها، وهذهِ الـمَسالكُ أَو الأَدلةُ كثيرةٌ وَمُتشعِّبةٌ، ولها شروطُها. من ذلك: أَن تَأتي العِلَّةُ صَريحةً، كَأَن يُذكرَ في النَّصِّ ما يُفيدُ تَعليلَ الحُكمِ صَراحةً، كَقولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «**إنما جُعِلَ الاستئذانُ من أَجلِ البصر**» رواه البخاري والترمذي وأحمد، أَو كأن يدلَّ عليها حرفٌ من حُروفِ التَّعليلِ كَاللامِ مثلًا، كما في قَولِهِ تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾ [النساء: ١٦٥] أَو (كي) كقولِهِ تعالى: ﴿كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ ﴾ [الحشر: ٧]. وَمن شُروطِ العِلَّةِ أَن تَكونَ وَصفًا مُناسبًا

لِلتعليلِ، وَأَن يَكونَ هذا الوَصفُ سَالـمًا، أَي غَيرَ مُلْغىً أَو مُعارَضٍ بِأَيِّ دَليلٍ أَو معنىً شرعيٍّ. وَوصفُ (المناسبة) هو لبُّ الأمرِ ونُواتُه التي انبنى عليها وحولَها مَوضوعُ تَعليلِ الأَحكامِ بِالأوصافِ الـمَصلحِيَّةِ، وَهوَ الذي أَدّى بِدورِهِ إِلى ظُهورِ فِكرةِ مَقاصِدِ الشَّريعَة. فَكيفَ حَصَلَ ذلِك؟

فَمثلًا في قَولِهِ تَعالى: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ فَقصدُ قَطعِ الحُجَّةِ أَو العُذرِ علةُ الرُّسُلِ والتَّبليغ. وَالعلَّةُ هُنا مُناسِبةٌ؛ لِأَنَّ العقلَ يَجدُ رابطًا أَو يَفهمُ الرَّبطَ بَينَ العِلَّةِ والمَعلولِ. فَإِرسالُ الرُّسُلِ يَقطعُ العُذرَ وَيمنعُ الزَّعمَ بِأَنَّهم لم تَبلُغْهم الرِّسالةُ. وَكذلك في الحَديثِ: «**إِنَّما جُعِلَ الاستئذانُ مِن أَجلِ البَصر**». فَالعقلُ يَجدُ رابطًا أَو يَفهمُ الرَّبطَ، فَيتقبَّلُ إِيجابَ الاستئذانِ قَبلَ الدُّخولِ لِعلَّةِ وُقوعِ النَّظرِ على ما يَكرهُ الـمُستأذَنُ عليه أَو على ما لا تَجوزُ رُؤيتُهُ؛ لذلك يُقالُ هُنا: إِنهُ قَد توفَّرَ في هذه الأَوصافِ التي جَاءت في مَسالكَ شَرعيةٍ شَرطُ الـمُناسبَةِ. وَبِتعبيرٍ آخَرَ، فَإِنَّ تَوَفُّرَ شَرطِ الـمُناسبَةِ في الوَصفِ يعني إِدراكَ الحِكمةِ أَو العَلاقَةِ السَّبَبِيَّةِ بَينَهُ وَبينَ الحُكم. وَكَذلِكَ قد يدلُّ دليلٌ على التعليلِ ويأتي الوصفُ في مسلكٍ شَرعِيٍّ؛ ولكن لا يَكونُ الوَصفُ مُناسبًا لِيكونَ عِلةً، أَي لا يَكونُ هُناكَ رَابطٌ مقبولٌ عقلًا بَينَ العِلَّةِ والحُكم، وفي هذه الحَالةِ لا يُعَدُّ الوصفُ عِلةً؛ لأَنهُ فَقدَ شَرطَ الـمُناسَبةِ.؛ وَذلكَ كَقولِهِ تَعالى: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ﴾ [سورة القصص: ٨]. فاللامُ هُنا هي لامُ التَّعليلِ، وَهيَ تَدلُّ لُغةً على التَّعليلِ؛ إلا أَنَّ شَرطَ الـمُناسبَةِ مَفقودٌ هُنا، إِذ لم يَلتقط آلُ فِرعونَ موسى لِأجلِ أَن يَكونَ لَهم عَدوًّا وَحَزَنًا، وَإِنما لِيكونَ لَهم قُرَّةَ عَينٍ؛ لِذلكَ كانت هذه العَداوَةُ وَالحَزَنُ مآلًا سَيؤولُ إِليهِ الالتِقاطُ، وَليسَ عِلَّةً لِفعلِهم، أَي لالتقاطِهِ إِياه. هكذا، فحيثما لا تَتوفَّرُ الـمُناسَبةُ لا يكونُ الوصفُ علةً ولو جاءَ في أَحدِ الـمَسالكِ الشرعيَّةِ للعلة. يقولُ الآمِديُّ: «المناسبُ عِبارةٌ عَمَّا لَو عُرِضَ على العقولِ تَلَقَّتــهُ بِالقَبولِ» (الإِحكام في أُصولِ الأَحكام: ٢٧٣/٢).

يَتَبيَّنُ بِذلِكَ أَنَّ الـمُناسَبَةِ شَرطٌ لِلعِلَّةِ التي يُقاسُ عَليها أَو تَعديَةُ الحُكمِ بِها، وَهُنا مِفصَلٌ حَدَثَ عِندَهُ تَطَوُّرٌ في النَّظَر؛ إِذ بَعدَ مُجادَلاتٍ في ادِّعاءِ فَريقٍ لِأَحكامٍ وَعِلَلٍ مُعَيَّنَة، وَرَفضِ فَريقٍ لَها؛ ظَهَرَ ادِّعاءُ التَّعليلِ بِالوَصفِ الـمُناسِبِ من غَيرِ أَن يَدُلَّ دَليلٌ شَرعِيٌّ على الوَصف، أَي أَنَّ الحُكمَ الشَّرعِيَّ إِذا احتَمَلَ أَن يَكونَ لَهُ عِلَّةٌ مُعَيَّنَةٌ لِمُجَرَّدِ أَنَّ العَقلَ يَرى فِيها حِكمَةً أَو مَصلَحَةً، فَإِنَّ هَذِهِ العِلَّةَ تَكونُ مَحَلَّ ظَنٍّ، وَبِما أَنَّ الظَّنَّ مَعمولٌ بِهِ في الشَّرعِيَّات؛ تَكونُ هَذِهِ العِلَّةُ عِلَّةً شَرعِيَّةً. وَهكذا دَخَلَ في الجِدالِ مَوضوعُ اتِّخاذِ (الـمُناسَبَةِ) مَسلَكًا من مسالِكِ العِلَّةِ أَو دَليلًا عَليها وَليسَ فَقط شَرطًا فيها. فَعلى سَبيلِ الـمِثالِ، إِذا أَردنا أَن نُعلِّلَ تَحريمَ الخَمرِ، فَيجبُ أَن يَكونَ الوَصفُ

الـمُعَـلَّـلُ بِهِ صالحًا لِلتعليلِ، أَي مُناسبًا. وَمِن أَوصافِ الخَمرِ: رَائحتُها، وَكَونُها مُسْكِرةً، أَما رَائحتُها فَهيَ وَصفٌ غَيرُ مُناسِبٍ لِتكونَ عِلةً لِلتحريمِ، وَلكِنَّ العَقلَ يَتقبلُ الرَّبطَ بَينَ تَحريمِها وَبينَ وَصفِ الإسكارِ؛ لِأَنَّهُ يُدركُ مصلحةً أَو حِكمةً في مَنعِ ما يُسكِر؛ وَلذلكَ يصلحُ وَصفُ الإسكارِ لِيكونَ عِلةً لِلتحريمِ عِندَ مَن يُعلِّلُ بِهِ. وَلكنَّ هذا الوَصفَ لم يَأتِ أَصلًا في مَسلكٍ شَرعِيٍّ، أَي إِنَّهُ لا يُوجدُ دَليلٌ شَرعِيٌّ على كَونِ الإسكارِ عِلةً؛ وَلِذلكَ رَفضَهُ الأَحنافُ رَفضًا باتًّا.

وَهكذا يَتبيَّنُ الفَرْقُ بَينَ أَن يَكونَ هُناكَ دَليلٌ على عِليَّةِ الوَصفِ ثُمَّ اشتراطُ الـمُناسبةِ لِثبوتِهِ كَعلَّةٍ، وَبينَ أَن يَكونَ مُناسِبًا لِيكونَ عِلَّةً وَلكنْ لا دَليلَ عَلى عِليَّتِه. وَالأَخذُ بِهذا الأَمرِ الثانيِّ يُعدُّ تَطورًا عَلى طَريقِ ظُهورِ مَقاصِدِ الشَّريعةِ؛ إِذ إِنَّ هَذهِ الخُطوةَ هِيَ القَولُ بِتعليلِ الأَحكامِ بِالحِكَم. وَهكذا ظَهرَ مَسلكٌ جَديدٌ لِلتعليلِ هُوَ مَسلكُ الـمُناسَبةِ. على أَنَّ مِنَ الجَديرِ التَّنبيهَ إِليهِ أَنَّ هَذهِ الخُطوةَ لَيسَ فِيها اتِّخاذُ الوَصفِ الـمُناسبِ أَو الحِكمَةِ أَو الـمَصلحةِ دَليلًا شَرعيًا؛ إِذ لا يُستَدَلُّ بِالمصلحةِ على حُكمٍ، وَلا يَنشأُ حُكمٌ بِناءً عَلى الـمَصلحةِ، وَإِنَّما تُقرأُ مَصلحةٌ في حُكمٍ شَرعِيٍّ مَوجودٍ يُظَنُّ أَنَّها عِلَّةٌ لِلحكم، وَبِتعبيرٍ آخرَ: تُتَـخَـيَّلُ حِكمةٌ مُناسبةٌ لِلحكمِ الشَّرعيِّ في حُكمٍ شَرعِيٍّ مَوجودٍ أَو في أَكثرَ مِن حُكمٍ، ثُمَّ تُعرضُ كَعلة؛ وَلذلكَ أُطْـلِـقَ على هذا الاستدلالِ اسمُ مَسلكِ الـمُناسبَةِ أَو الإخالة.

وَيُقالُ حينئذٍ: إِنَّ هذا الوَصْفَ أَو الـمَعنى شَهدَ لَهُ حُكمٌ. وَلا يُقالُ: شَهدَ لَهُ نَصٌّ أَو دَليل، أَي أَنَّ هَذا الوَصفَ مَأخوذٌ مِن دِلالةِ مَعنى النَّصِّ وَليسَ مِن دِلالةِ النَّص. يقولُ الغَزالِيُّ: «فَبِهَذِهِ الشُّرُوطِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا يَجُوزُ اتِّبَاعُ الْمَصَالِحِ، وَتَبَيَّنَ أَنَّ الِاسْتِصْلَاحَ لَيْسَ أَصْلًا خَامِسًا بِرَأْسِهِ بَلْ مَنْ اسْتَصْلَحَ فَقَدْ شَرَّعَ كَمَا أَنَّ مَنْ اسْتَحْسَنَ فَقَدْ شَرَّعَ» (المستصفى: ١٨٠/١).

ثَارَ هَذا التَطَوُّرُ سِجالًا وَمجادَلاتٍ بَينَ الشافِعِيَّةِ الذينَ استرسلوا فيهِ، وبينَ الأَحنافِ الذينَ رَدُّوهُ وَقالوا عنهُ: إِنَّهُ خَيالٌ وباطِلٌ، وَإِنَّ الظَّنَّ بِهِ لَيسَ ظَنًّا شَرعِيًّا. وقال الذين دافعوا عَنهُ: إِذا لم نُعلل الأَحكامَ تَخلو الوقائعُ والمستجداتُ مِنَ الأَحكام، وَبرزَ عِندهُم قَولٌ: إِنَّ الأَصلَ في الأَحكامِ التَّعليلُ، فَإِذا دَلَّ الشَّرعُ عَلى العِلةِ فَبِها، وَإِذا لَم يدلَّ فَعَلينا أَن نَبحثَ عَن أَصلحِ وصفٍ لِنـُعَـلِّـلَ، وَأَصلحُها هُوَ أَكثرُها مُناسبةً بِشرطِ أَن لا يَدلَّ الشَّرعُ على رَدِّهِ أَو إِلغائه. فَقامَ الجُوَينِيُّ الشَّافِعِيُّ يُدافِعُ عَن مَسلَكِ الـمُناسَبَة، فاتَّهَمَ الأَحنافَ الذينَ رَدُّوهُ بِالتَّقصيرِ في فَهمِ هَذهِ الأُصول، وَرَدَّ القَولَ بِأَنَّها تَحَكُّمٌ بِغيرِ دَليلٍ وَتحكيمٌ لِلعَقل، وقال: «بِأَنَّ التَّحَكُّمَ وَتحكيمَ العَقلِ إِنَّما يَلزمُ مَن لم يَسلكْ مَسلكَ الشَّافِعيِّ في ذَلك. وَقالَ في أَبي حَنيفةَ وأَصحابِهِ: وَبالجُملةِ ليسَ مَعهُم مِن عِلمِ الأُصولِ قَليلٌ وَلا كَثير، وَإِن أَقامَ وَاحدٌ منهم لقبَ مسألةٍ فسننقضها في تفصيلِ الفروعِ، فَإِنَّ صَاحبَهم ما بَنى مَسائِلهُ على أُصول، وَإِنَّما

أَرسلَها عَلى ما تَأتَّى له» «البُرهان: ٥٨٧/٢).

استمرَّ هذا السِّجالُ والأَحنافُ يَرُدُّونَ هذا الـمَنهجَ كُلَّه، فيقولُ البَزدَوِيُّ (ت: ٤٨٢هـ) مثلًا عَن مَسلكِ الإِخالَةِ وَالـمُناسبة: وَأَما الخيالُ فَأَمرٌ بَاطلٌ لِأَنَّهُ ظَنٌّ لا حَقيقَةَ لَهُ، وَلأَنَّهُ باطنٌ لا يَصلُحُ دَليلًا على الخَصمِ وَلا دليلًا شَرعيًّا» (أُصولُ البَزدَوِيُّ: ٥١٨/٣) وَقالَ أَيضًا: «فَلا يُسْمعُ مِنَّا الاستدلالُ بالأَصلِ، وَهوَ أَنَّ التعليلَ أَصلٌ في النُّصوصِ، بَل لا بُدَّ من إِقامَةِ الدَّليلِ على أَنَّ هذا النَّصَّ بِعينِهِ مَعلول» (أُصول البزدوي: ٤٣٨/٣). ويقولُ عَبدُ العَلِيِّ مُحمَّدُ الأَنصاريُّ (ت: ١٢٢٥هـ): «خِلافًا لِلحنفيةِ، فَإِنَّهُم لا يَقبلونَ الإِخالَةَ أَصلًا.. وَهُوَ لا يُغني مِنَ الحقِّ شَيئًا، وَغايتُهُ أَن يُجْعَلَ مِثلَ الإِلهام، وَهوَ لا يَصلحُ حُجَّة» (فَواتحُ الرَّحموت: ٣٠١/٢).

استَمَرَّ الأمرُ على هذا الحالِ من السِّجالِ إلى أَن جاءَ الشاطِبيُّ -رحمه الله- وَسطَّرَ مَنهجَهُ في كِتابِهِ (الموافقات). فَقد وَقفَ الشَّاطِبيُّ موقفًا وافقَ فيه كُلًّا من الفريقينِ بِشيءٍ من رأيه، وخالفَ أيضًا كُلًّا منهما بشيءٍ آخر من رأيه، ورأى أَنَّهُ بذلك وَفَّقَ بينَ الفريقينِ، وهذا هو مقصوده بِتسميةِ كتابِه (الموافقات). فَقَد وافقَ الشافِعِيَّةَ الـمُعلِّلينَ بِالاعتبار، وَلكنهُ لم يقبل أَن يشهدَ لِلمعنى أَو للوَصفِ (كالإسكار) حكمٌ واحدٌ ولا حُكمانِ أَو أَكثر؛ لأنهُ بهذا يَظلُّ الاعتبارُ رأيًا راجعًا للناظرِ وليسَ للشرع، وَاشترطَ لِقبولِ التعليلِ بالوصفِ الـمُعتبرِ أَن يَثبُتَ ثُبوتًا قَطعيًّا. وَرأى أَنَّ الوصفَ إِذا تَوفَّرَ لهُ هذا الشرطُ فَلا يُمكنُ رَدُّه، وَسيقبَلُهُ الأَحنافُ. وَرأَى أَنَّهُ وَفَّقَ بِهذا الشرطِ بينَ الحنفيةِ وغيرِهم. وَيحصُلُ القَطعُ عِندَ الشَّاطِبِيِّ، بِأَن تشهدَ للوَصفِ أَحكامٌ كثيرةٌ تفوقُ الحصرَ، وبِهذا يَحصلُ للمعنى أَو لِلوَصفِ ما سمّاهُ التَّواتُرَ الـمَعنويَّ الذي يَحصُلُ بالاستقراءِ الـمُفيدِ لِلقَطعِ، أي بوجود المعنى المعتبرِ في عددٍ غيرِ محصورٍ من الأَحكام. يقولُ رحمهُ الله: «وَدَلِيلُ ذَلِكَ اسْتِقْرَاءُ الشَّرِيعَةِ، وَالنَّظَرُ فِي أَدِلَّتِهَا الْكُلِّيَّةِ وَالْجُزْئِيَّةِ، وَمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الْعَامَّةِ عَلَى حَدِّ الِاسْتِقْرَاءِ الْمَعْنَوِيِّ الَّذِي لَا يُثْبَتُ بِدَلِيلٍ خَاصٍّ، بَلْ بِأَدِلَّةٍ مُضَافٍ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، مُخْتَلِفَةِ الْأَغْرَاضِ، بِحَيْثُ يَنْتَظِمُ مِنْ مَجْمُوعِهَا أَمْرٌ وَاحِدٌ تَجْتَمِعُ عَلَيْهِ تِلْكَ الْأَدِلَّةُ، عَلَى حَدِّ مَا ثَبَتَ عِنْدَ الْعَامَّةِ جُودُ حَاتِمٍ، وَشَجَاعَةُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (الموافقات: ٨١/٢).

ويحسُنُ بِنا بَعدَ هذا الاستِقصاء غَيرِ الـمُخِلِّ لمسألة مقاصِد الشريعَةِ كما هِيَ عِندَ الأُصوليِّينَ أَن نَعرِضَ إِلى ما سَطَّرَهُ حِزبُ التَّحريرِ في ثقافَتِهِ حَولَ مَسأَلَةِ المقاصِد. فَقَد فَرَّقَ الشيخُ الـمُجَدِّدُ العَلامَةُ تَقِيُّ الدِّينِ النَّبَهانِيُّ - رحِمهُ اللَّه - بَينَ كَونِ المَقاصِدِ مِمَّا قَصَدَهُ الشَّارِعُ؛ فَيكونُ بِذلِكَ مقبولًا، وبينَ مَا قصَدَهُ العقلُ؛ فيكونُ بِذلِكَ مردودًا. وَما قَصَدهُ الشَّارِعُ إِمَّا أَن يكونَ قَصدَ الشَّارِعِ مِن الشَّريعَةِ كُلِّها كَقولِهِ تَعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وَإِمَّا أَن يكونَ قَصدَهُ مِن آحادِ

الأَحكام كَقولِهِ تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]؛ وَعليهِ فالحِزبُ يَشتَرِطُ في اعتِبارِ المقاصِدِ سواءَ ما كَانَ منها من مقاصِدِ الشَّريعَةِ كَكُلٍّ، أَو مقصِدِ كُلِّ حُكمٍ بِعَينِه، أَن تكونَ مِنَ وَضعِ الشَّارِعِ لا مِن وَضعِ الـمُكَلَّف. وَإِذا كَانَ أَكثَرُ الأُصوليِّينَ قد دَرجوا على تَقسيمِ الـمَقاصِدِ إِلى: ضَروريَّاتٍ وحاجِيَّاتٍ وتحسينياتٍ، وجَعلوا الضَّروريَّاتِ خمسة: حِفظُ العَقلِ والنَّفسِ والنَّسلِ والدِّينِ والمال، فَإِنَّ الحِزبَ زادَ عليهَا ثلاثةً. جاءَ في كتاب: (الشخصيَّةِ الإِسلامِيَّةِ/الجزء الثالث): «... فمثلًا الـمَقاصدُ الخَمسةُ التي يَقولونَ إِنَّها لم تَخلُ مِن رِعايتِها مِلةٌ مِنَ المِلَل، وَلا شَريعَةٌ مِنَ الشَّرائِع، وَهي: حِفظُ الدِّين، والنَّفس، والعَقل، والنسل، والمال، ليست كُلَّ ما هُوَ ضَروريٌّ لِلمجتمعِ مِن حَيثُ هُوَ مُجتمع، فَإِنَّ حِفظَ الدَّولةِ، وَحفظَ الأَمن، وحِفظَ الكرامَةِ الإِنسانية، هِيَ أيضًا مِنَ ضَروراتِ الـمُجتمع. فَالضروراتُ إِذن في واقِعها ليست خَمسةً وَإِنَّما هِيَ ثَمانية... انتهى». ويُفَرِّقُ الحِزبُ بَينَ الـمَقاصِدِ والعِلَل، فَالـمَقصدُ لا يَكونُ عِلَّةً لِتَشريعِ الأَحكامِ إِلا إِذا تَوفَّرَت فِيهِ شُروطُ التَّعليلِ. يقولُ في المصدَرِ السابِق: «وَذلكَ أَنَّ النَّصَّ الذي يَدُلُّ عَلى التعليلِ هُوَ أَن يكونَ التَّعليلُ بِالوصفِ بِلفظٍ مَوضوعٍ لَهُ في اللغة، بِأَن يَكونَ الوَصفُ مُناسبًا، وَذلكَ بِإِدخالِ حَرفٍ مِن حُروفِ التَّعليلِ على هَذا الوصفِ الـمُناسبِ مِثل: ﴿كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ﴾ أَو بِوضعِهِ في الجُملةِ على وجهٍ يُفهِمُ العِليَّةَ مِثل: «**وَلاَ يَرِثُ الْقَاتِلُ شَيْئًا**» أخرجه أبو داود، «**لاَ يَقْضِي الْقَاضِي بَيْنَ اثنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ**» أخرجه أحمد، «**... فِي صَدَقَةِ الْغَنَمِ، فِي سَائِمَتِهَا...**» أخرجه البخاري، وغيرُ ذلك، فَإِنَّ هذا يُفهِمُ العِليَّة، فَيكونُ ما أَتى فيه عِلَّةً لِلحكم، بِخلافِ ما لو لم يكن اللفظُ وصفًا، أَو وصفًا غير مُناسب، فَإِنَّهُ لا يُفيدُ العِلية، ولا يُفهَمُ مِنهُ التعليل؛ وَلذلكَ لا يكونُ علة... انتهى» وَعلى هذا فَالعِلَّةُ عِندَ الحِزبِ لا تكونُ عِلَّةً إِلا إِذا تَوفَّرَت فيها شُروطُ التَّعليل، وهِيَ بِذلِكَ تختَلِفُ عن الحِكمَةِ أَو الغايَةِ مِنَ التَّشريع. فالعِلَّةُ موجودَةٌ قبلَ الحُكمِ ومَعهُ تدورُ معهُ وجودًا وعدَمًا، وَالعِلَّةُ هِيَ الباعِثُ على تَشريعِ الحُكمِ، فالحُكمُ وَجَبَ بِها. بينما الحِكمَةُ أَو الغايَةُ على ما جاءَ في كثيرٍ مِنَ النُّصوصِ كقولِهِ تَعالى: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾ [الحج: ٢٨]. وقولِهِ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. فَإِنَّ الـمَنافِعَ مِنَ الحَجِّ قَد تحصُلُ لِلحُجَّاج وقد لا تحصُل، وكذَلِكَ الصلاةُ، قد يَنتَهي بِها الـمُصلِّي عَن الفحشاءِ والـمُنكَر وقد لا يَنتَهي. فالغايَةُ أَو الحِكمَةُ مِنَ التَّشريعِ نتيجَةٌ مَن نتائِجِ تطبيقِ الحُكمِ لا عِلَّةً لِتَشريعِه. فَالعِلَّةُ بِذلِكَ تختَلِفُ عن الحِكمَةِ أَو الغايَة، والخَلطُ بينهُما غَلطٌ يُخِلُّ في الشَّريعَةِ فَهمًا والتِزامًا. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

الرأسمالية تسحق البشر بنظامها الجائر، والحل الوحيد هو في نظام الإسلام

م. محمد مصطفى - اليمن

يسيطر الاقتصاد الرأسمالي الغربي على اقتصادات العالم اليوم، ويُلزم جميع دول العالم على اتخاذه مرجعية (دستوريًا وعمليًا) لاقتصادهم، ومن بينها دول العالم الإسلامي! ويرى اقتصاديو الغرب أن المشكلة الاقتصادية هي في قلة الموارد والثروات بالنسبة للحاجات البشرية! وسمَّى نظريته تلك بـ«**الندرة النسبية**" وفلسفتها عنده أن الموارد أي السلع والخدمات نادرة بالنسبة للحاجات البشرية اللامحدودة، أي إن ميزان الموارد التي تلبي الحاجات البشرية ميزان غير ممكن التحقيق. أما الحلُّ عنده أنه لابد من **زيادة الإنتاج** حتى تقلَّ الفجوة بين الموارد والحاجات البشرية اللامحدودة، فبدلًا من أن يكون من يستطيعون استهلاك الموارد والانتفاع بها هم ٥٠٪ من المجتمع، فإن زيادة الإنتاج تؤدي إلى زيادة الموارد «السلع والخدمات»، وهذه تَوفرُها في السوق يؤدي إلى زيادة نسبة المستفيدين منها لتسد حاجاتهم إلى ٨٠٪ مثلًا. وهكذا، فكلما زاد الإنتاج زاد الانتفاع وسدَّت نسبة من حاجات المجتمع، ولكن الـ٢٠٪ الباقية لابد من أنها لن تصل إلى الموارد لأنه لا يمكن أن تشبع السلع والخدمات حاجات البشر جميعهم!! كما يدَّعون، وبالتالي فإن البقية الباقية من النسبة الأخيرة، وهم غير القادرين على العمل، أو العاطلين عن العمل، أو الذين لايكفي دخلهم لسد حاجاتهم الأساسية؛ فلن يستطيعوا الوصول إلى الموارد التي يحتاجونها من السلع والخدمات المتوفرة ولن يستطيعوا أن يشبعوا حاجاتهم؛ وعليه فإن وجود الفقر بنظرهم حتميٌّ في هذا العالم!!!... والدولة التي تطبق النظام الرأسمالي تعتبر أن وجود هذه الطبقة الفقيرة أمر طبيعي!! ولا شأن لها بها! بل تعالجها بالترقيعات من خارج النظام بشكل لا يكفي ولا يخرج الفقير من فقره، ولا يعالجه معالجة تقضي على فقره... فهي لا تهتمُّ سوى بزيادة الإنتاج.

في المقابل، نجد عندهم أن من تمكَّن من الموارد أفضل تمكُّن، عن طريق ما يملكه من ثروة، تزداد ثروته، ويزداد نفوذه عن طريق المصانع أو المشاريع التي يملكها؛ فيتحكم بالسوق وبالأسعار!! ثم نجد أنه من باب حرية التملك التي يؤمن بها النظام الرأسمالي، فإن الفئة الأغنى تستحوذ على الثروات والموارد بكل سهولة فتتركز بيدها الثروة. ومن

ثم نجدها تقف وراء السياسيين فتدعمهم ليشرعوا لمصلحتها، وتستخدمهم ليفتحوا لها الأسواق ويضعوا أيديهم على ثروات الشعوب والبلدان الأخرى عن طريق أخطبوط الاستعمار المتعدد الأذرع، والذي يتغذى منها بالحروب والديون الربوية ونهب الثروات... ومن هنا جاء مسمَّى «النظام الرأسمالي» وذلك لتحكُّم طبقة أصحاب رؤوس الأموال بطبقة الحكام في الأنظمة الغربية؛ ولذلك نجد دولة غنية غنًى فاحشًا بالموارد مثل أمريكا، وبالرغم من أنها هي الدولة العظمى، وتستبيح العالم فتنهب وتقتل دون رادع، إلا أنها ملأى بالأحياء الفقيرة وبالمشرَّدين والعاطلين عن العمل، وهؤلاء لم توفِّر لهم أمريكا شيئًا، بل إن ما أخذه ترامب من أموال المسلمين قد بشَّر به الشعب الأمريكي بمزيد من الوظائف! أي بمزيد من الأيدي العاملة التي تساهم في الإنتاج لمن يستطيع الإنتاج منهم حتى يتمكنوا من سدِّ حاجاتهم، ولم يتطرق لمعالجة الفقر والفقراء وغير القادرين على انتشال أنفسهم من الجوع والعوز! ففي الأنظمة الرأسمالية لا شأن للحكام بمثل هذه الفئة حتمية الوجود في نظرهم في المجتمع!!.

وفي مقابل ذلك، فإن الإسلام جعل المشكلة الاقتصادية، ليست كما يصوره البشر بعقولهم القاصرة أنها ندرة الثروات والخيرات والموارد، فالله أودع في هذه الأرض الخيرات الكثيرة التي تكفي جميع البشر إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝١٠﴾ وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ۝٢٠﴾... ثم إن الله سبحانه وتعالى قد شرع للمسلمين نظامًا اقتصاديًّا، فيه المعالجة الحقيقية لكل مشاكل الإنسان الحياتية وحاجاته المادية. قال سبحانه وتعالى فيه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ۝٦٦﴾ ولكن للأسف فهو غير مطبَّق اليوم، والواجب على المسلمين اليوم أن يقيموه في حياتهم؛ وهم واقعون تحت إثم عدم تطبيقه، بل إن الغرب (بحكَّامه ورأسماليه) يعمل على منع تطبيقه، ومنع إقامة دولة الخلافة التي تطبقه؛ لأنه يعلم حقيقة أنه سيؤدي إلى قطع يده عن سرقة أموال الناس وأكلها بالباطل، ووضع حد لاستعماره.

والإسلام قد جعل حل المشكلة الاقتصادية يكمن في «توزيع الثروة»؛ من هنا جاء بأحكام اقتصادية تضمن وصول الثروة إلى كافة أفراد المجتمع فردًا فردًا، الفقير والغني، العاجز والقادر... ومنع تركُّزها في أيدي فئة غنية قليلة

كما هو الحال في النظام الرأسمالي، ولعلَّ الآية الكريمة هي أصدق تعبير على تركيز الإسلام على توزيع الثروة، قال تعالى: ﴿ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ﴾ وعلى هذا جاءت الأدلة الشرعية باستفاضة لتبيِّن أن المشكلة الأساسية هي فقر الأفراد، وعدم تمكين كل فرد منهم من حيازة المال والانتفاع به؛ فصبَّت علاجها على توزيع الثروة، على خلاف النظرة الرأسمالية للمشكلة الاقتصادية.

ففي الإسلام نرى أن هناك توجيهات في القرآن والسنة تشرع وتشجع على الإنفاق على المحتاجين من الفقراء والمساكين واليتامى وأبناء السبيل والغارمين، وغيرهم؛ حتى ليتولد أنطباع عام لدى عامة المسلمين أن الإنفاق والتصدُّق على الفقراء هو أول ما يتبادر إلى أذهانهم إذا ما أصاب الواحد منهم مكروه ليدفعه، أو فعل معصية ليغفرها الله له، أو إذا ما جاءه مولود، أو رزق برزق ليحصل على بركته... هذا وقد ذمَّ الله سبحانه وتعالى الحرص على المال وعدم إنفاقه على المحتاجين إليه من الفقراء والمساكين والغارمين وابن السبيل، قال تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ١٨ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ٢٠﴾. وقد جاءت الآيات الكريمة والأحاديث المشرَّفة مستفيضة في هذا المجال توجِّه المسلمين وتحضُّهم على الإنفاق على أمثال هؤلاء وجعلتها كفارة لكثير من ذنوبهم، وفيها تقرب إلى الله، ففي الآية الكريمة، : ﴿۞إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ فرض الله الزكاة على أغنياء المسلمين، وجعلها حقًّا لفقرائهم في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم وتردُّ إلى فقرائهم، وحضَّ على الصدقة لهم، وكفالة اليتيم، وإطعام الجائع... وهذا ما يجعل التكافل والتعاضد الاجتماعي والأخوي منتشرًا بينهم.

ولكن الإسلام لم يترك معالجة الفقر لهذه التوجيهات العامة فحسب، بل أوجد منظومة من الأحكام الشرعية في الاقتصاد، وفي مختلف شؤون الحياة، من شأنها أن تحلَّ المشكلة الاقتصادية التي تعاني منها البشرية الا وهي»توزيع الثروة» بحيث تصل إلى جميع أفراد المجتمع، وسنذكر بعضًا من هذه الأحكام ليتبين المسلمون قبل غيرهم أن الإسلام هو الدين الحق في كل أحكامه، وكيف لا وهو دين منزل من لدن الله العليم الخبير:

- **جعل الإسلام الملكيات ثلاثة أنواع: ملكية فردية، وملكية الدولة، وملكية عامة.** والملكية العامة أذن الشارع فيها أن تشترك الجماعة بالانتفاع بها، ومنها المعادن التي لا تنقطع كمنابع البترول، ومناجم المعادن التي لا تنقطع، أي التي تكون غير محدودة المقدار

بكمية قليلة، فإن مردود هذه المعادن، والتي عادة ما تكون ثرواتها هائلة تعود لعامة أفراد الرعية، وهذه وحدها كفيلة بإيجاد حالة من الكفاية لدى الجماعة ومن غير تفريق، ويمنع الشرع الدولة من تملُّكها؛ ولكن يسمح لها بالإشراف على استخراجه. ويمنع الشرع كذلك الأغنياء من أصحاب الشركات الضخمة من تملُّكها؛ ولكن يسمح لها فقط أن تأخذ أتعاب استخراجه مثلًا. ويأخذ الناس النفط والغاز والكهرباء وغيرها من الطاقة مجانًا، ومن ثم تعيد إليهم الدولة فوائض الأسعار. ففي تعريف الملكيات العامة يقول الإمام الماوردي في «الحاوي»: «هي ملكية جماعة المسلمين للأموال التي لا يجوز للأفراد ولا للدولة التصرف برقبتها، أو الاستفراد بمنفعتها؛ إذ المالك لهذه الأموال المجتمع ككل، يشترك فيها مجموع الناس شركة إباحة، ولا يجوز التصرف بها بيعًا ولا إقطاعًا ولا هبة، ولا يجوز للدولة هنا إلا تنظيم الاستفادة منها» وورد في كتاب «النظام الاقتصادي» للشيخ تقي الدين النبهاني: «الملكية العامة هي إذن الشارع للجماعة بالاشتراك في الانتفاع بالعين. والأعيان التي تتحقق فيها الملكية العامة هي الأعيان التي نصَّ الشارع على أنها للجماعة مشتركة بينهم، ومنع من أن يحوزها الفرد وحده». فرعاية الدولة للملكيات العامة يساعد ويساهم في توزيع الثروة بين أفراد المجتمع ويمنع تكدسها بين أيدي أناس معدودين محدودين، كما أنه يساهم في تحقيق منفعتها على أكبر قدر مستطاع من الناس.كما يساهم في جعل مختلف السلع التي تعتمد في صناعتها على النفط ومشتقاته في جعل هذه السلع رخيصة.

- **تحريم الإسلام للربا،** قال تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ ﴾ **وقال سبحانه** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩ ﴾ والربا من آثاره الخبيثة أنه يجعل المال يتكدَّس بيد طبقة من الـمُرابين الطفيليين الذين يثرون على حساب المحتاجين دون إنتاج، ويوجد طبقة واسعة من الـمَدينين الـمُعسرين... وبالنسبة إلى آثار الربا على حياة الناس المعيشية فإنه يؤدي إلى ارتفاع المستوى العام للأسعار، وتعقُّد الحياة الحياة الاجتماعية. فالربا يعتبره الإسلام جريمة يعلن مرتكبها حربًا على الله ورسوله ﷺ جريمة يعتبر ارتكابها أشدّ من الزنا. والربا قديمًا كان يؤدي إلى الاسترقاق؛ وذلك عندما لا يقدر المدين على السداد؛ فيكون الحل أن يبيع المدين نفسه للدائن لسداد دينه. أما اليوم فقد أصبح للربا مؤسساته الدولية النافذة، وله دوله التي تفرضه على المجتمعات الفقيرة وتستعبدها في حال عجزها وتمصُّ خيرات الدول وتقضي على تنمية الشعوب وإبقائها تحت نقمة الدول الغنية وشروطها القاسية، أي إنها اليوم تسترق الشعوب.

- **تحريم الإسلام للاحتكار**، والذي من ذيوله تركز الثروات بيد فئة من الناس المحتكرين. قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَبَرِئَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ، وَأَيُّمَا أَهْلُ عَرْصَةٍ أَصْبَحَ فِيهِمْ امْرُؤٌ جَائِعًا، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ تَعَالَى**» مسند أحمد. ولقوله ﷺ: «**من احتكر على المسلمين أربعين يومًا ضربه الله بالجذام والإفلاس**». فالاحتكار هو حبس ما يحتاج إليه الناس، سواء أكان طعامًا أم غيره مما يكون في احتباسه إضرار بالناس وتضييق الحياة عليهم، وهذا بإطلاقه شامل لكل شيء من المواد الغذائية، والثياب، والأدوية، وآلات ومواد الإنتاج الزراعي والصناعي، كالمحاريث والأسمدة، كما يشمل منافع وخبرات العمال، وأهل المهن والحرف والصناعات، والفنيين، وأصحاب الكفاءات العلمية، إذا احتاجت الأمة إلى مثل تلك السلع والمنافع والخدمات؛ إذ (المناط) هو حقيقة الضرر من حيث هو بقطع النظر عن نوع الشيء المحتكَر، فيجبر هؤلاء على بذل ما لديهم، رعاية لحق الأمة، ودفعًا للضرر عنها في مثل هذه الظروف، بالثمن أو أجر المثل العادل، إذا امتنعوا عن ذلك. والحكمة في تحريم الاحتكار دفع الضرر عن عامة الناس، وفتح المجال أمام الناس ليحوزوا الثروات دون احتكار ولا منع، وفي نفس الوقت مساعدتهم في استغلالها. هذا الأمر يجعل الثروة في متناول أيدي أفراد المجتمع بحيث ينال كل فرد منها نصيبًا معينًا.

- **نظام الوراثة في الإسلام يفتت أضخم الثروات ويجعلها تتوزع بين الورثة.** فالإرث في الإسلام وسيلة من وسائل تفتيت الثروة، وليس تفتيت الثروة علة له بل هي بيان لواقعه، وذلك أن الثروة وقد أبيحت ملكيتها، قد تتجمع في يد أفراد حال حياتهم، فإذا مات هؤلاء فإن الإرث يفتت ثرواتهم بتوزيعها بين الورثة. ويلعب التوريث بالصورة التي وضعها الفقه الإسلامي دورًا مهمًا في إعادة توزيع الثروة بين الأفراد من الجنسين ممن يحق لهم الإرث. وفي حالة تطبيق الفقه الإسلامي للمواريث ينال الأفراد نصيبهم بصورة عادلة، ويتم تحويل الثروة إلى الأفراد المعوزين والفقراء بصورة آلية ودون تدخل السلطات؛ وهذا بخلاف ما عند الغرب حيث تتشكل الطبقة البرجوازية وتتغذى الطبقية من تركز رأس المال في يد واحدة. ويعمل تقسيم الميراث على تفكيك هذا التركز من خلال إعادة توزيع الثروة. ولهذا لم نشهد في التاريخ الإسلامي أية اضطرابات اجتماعية ناشئة عن الصراع الطبقي أو التفاوت الفاحش في السلوك الاستهلاكي.

- **تحريم الإسلام لكنز المال**، وكنز المال هو جمعه لغير حاجة، بل يجب تشغيله في مشاريع صناعية أو زراعية أو تجارية أو أي وصف آخر يقره الشرع حتى تبقى الثروة متداولة متحركة نشطة في المجتمع ينتفع بدخلها صاحبها والعاملون فيها والفقراء وباقي

الأصناف من زكاتها ، وينتفع المجتمع بعامة من مشاريعها. وبالتالي فتخزين الثروة لغير حاجة أي كنزها دون تشغيلها في مشاريع هو حرام في الإسلام، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤﴾ هذا عن أحوال الأغنياء. فمنع الإسلام للكنز والادخار وتشجيع الاستثمار يعود على المسلمين جميعًا بالخير. والمقصود بالاستثمار في الإسلام هو تشغيل المال لزيادته. والهدف من الاستثمار في الإسلام ليس مجرد تحقيق الربح؛ ولكن الهدف هو تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والنهوض بالمجتمعات الإسلامية. إن النهي عن الاكتناز فيه توفير السيولة اللازمة لتمويل المشروعات ذاتيًا للتنمية، وتجنب الاقتراض بفوائد، وتعتبر فريضة الزكاة من أهم الدوافع للاستثمار، لأن الاكتناز يجعل المال يتآكل بسبب الزكاة. كذلك فإن تحريم الاكتناز في الإسلام يؤدي إلى التشغيل الكامل لرأس المال؛ حيث يجب توجيه رأس المال إلى الإنتاج. وهناك علاقة بين الادخار والاستثمار، فالاكتناز هو جزء الادخار الذي لم يوجه إلى الاستثمار. من هنا كان الإتجار بمال اليتيم حتى لا تأكله الصدقة.

- **فرض الإسلام على الدولة الإسلامية تأمين الحاجات الأساسية لأفراد رعيتها** من مأكل وملبس ومسكن، ولم يتركهم للعبة تحكم الأغنياء بالأسعار، ولم يترك الإسلام الفقراء هكذا من غير معالجة لأوضاعهم المادية كما هو الحال في النظام الرأسمالي. فالنظام الإسلامي من شأنه أن يؤمن بأنظمته الكفاية لكل أفراد المجتمع، ويكون فرضًا على الدولة الإسلامية أن تؤمن لأفراد الرعية حاجاتهم الأساسية من مأكل ومسكن وملبس كحد أدنى، يقول الأستاذ عبد الرحمن المالكي في كتاب (السياسة الاقتصادية المثلى): «... والإسلام يمكِّن كل فرد من أفراد الرعية من إشباع حاجاته الأساسية (المأكل والملبس والمسكن)، وجعل لكل فرد أن يملك من مصادر الاقتصاد الأربعة (الزراعة والصناعة والتجارة وجهد الإنسان) أكثر كمية يستطيعها، وأن يعمل للحصول عليها قدر المستطاع لإشباع هذه الحاجات الأساسية، ولتمكينه من إشباع الحاجات الكمالية، فكانت إباحة الملكية والعمل فيها هي الأساس وهي الأصل ...».

فكل هذه الأحكام، وغيرها من مثلها، يساعد ويساهم في تفتيت الثروة وتوزيعها لدى أكبر شريحة من أفراد المجتمع، ولا تبقى هذه الأموال محبوسة عند طائفة من الناس، لتتسع أبواب روافدها، وتقل أو تنعدم أبواب وصولها إلى باقي أفراد المجتمع من الفقراء كما هو حاصل في النظم الوضعية السقيمة كالنظام الرأسمالي السائد اليوم في معظم أنحاء المعمورة. ومن هنا نقول إن البشرية تكتوي بالفقر والغلاء والفساد الاقتصادي بسبب نظرة النظام الرأسمالي المصلحية

للحياة والوضعية والتي يتبناها الاستعمار السياسي وأدواته من صندوق النقد الدولي والأمم المتحدة وغيرها، بزيادة ثروات الأغنياء الذين يتحكَّمون في مفاصل الدول ولا يلقي بالًا للفقراء، ويدَّعي عدم وفرة الثروة بينما هو يسرقها، وكم ينافق عندما يقيم المؤاتمرات العالمية التي يتحدث فيها عن مشكلة الفقر ومشكلات التنمية المستدامة... بينما تتخم جيوب الأغنياء الجشعين وتمتلىء البنوك من أرصدة الرؤساء المنهوبة من جيوب الفقراء! فنحن المسلمون نعيش في قلب ثروات العالم، فأين تزويع الثروة العادل الذي جاء به الإسلام! وها هي أفريقيا الغنية بالثروات لاتكاد تطعم منها!. وهكذا نرى أن من ضيَّع حكمًا من أحكام الإسلام أحوجه الله إليه. نعم، إنه لا حلَّ للمشكلة الاقتصادية في العالم الا باقامة نظام الاسلام المتمثل بدولة الخلافة التي يعمل لها **حزب التحرير** بديلًا حضاريًا عن النظام الرأسمالي الفاسد في كل شيء لانقاذ البشرية منه قبل فنائها على يديه.

وخير ما نختم به كلامنا هو ما نذكره عن رسول هذه الأمة وأسوتها إلى قيام الساعة ومن بعده عن الخلفاء الراشدين الذين أمرنا الرسول ﷺ أن نعض على سنتهم بالنواجذ... فقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يوزع المال من الغنائم على جميع المسلمين، دون تخصيصٍ أو استثناءٍ لأحد منهم إلا لسبب شرعي، وكان الخلفاء الراشدون يوزعون الأرض المفتوحة على المسلمين كي ينتفعوا منها ويعمروها، ولم تكن الدولة تستحوذ عليها وتحتكرها لنفسها، **فقد روى ابن القيم في (زاد المعاد) في غنائم الطائف:** «... ثم أمر زيد بن ثابت بإحصاء الغنائم والناس، ثم فضها على الناس، فكانت سهامهم لكل رجل أربعًا من الإبل وأربعين شاة، فإن كان فارسًا أخذ اثني عشر بعيرًا وعشرين ومائة شاة...» ووزع عمر رضي الله عنه الأموال على المسلمين دون محاباة ولا تفضيل أحدٍ على أحدٍ - إلا لأمر شرعي- لا لجنس، ولا لون، ولا عشيرة، ولا منصب... **وقد ذكر المؤرخ البلاذري في كتاب (فتوح البلدان) قال:** «عندما بدأ عمر رضي الله عنه بتسجيل أسماء الناس قال: بمن نبدأ؟، قال له عبد الرحمن بن عوف: ابدأ بنفسك، قال: لا، بل نبدأ ببني هاشم وبني المطلب، وفرض للعباس ثم لعلي رضي الله عنهما، ثم الأقرب فالأقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قدّم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فكان لهم أعلى المخصصات، ثم أهل بدر، ثم الذين بعدهم، وعندما قرر راتبًا لأسامة بن زيد أكبر من راتب ابنه عبد الله قال عبد الله: أسامة ليس أفضل مني، قال عمر: ولكن أسامة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك، وفرض لكل مولود مئة درهم، فإذا ترعرع مئتي درهم، فإذا بلغ رشده زاد له في العطاء.

ويقول «والله لئن بقيت ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال!!..».■

بسم الله الرحمن الرحيم

حكم الرموز والأعلام في الإسلام (١)

م. ناصر وحان اللهبي- اليمن

إن إدراك مناط الحكم جزء من تصوره، أي إدراك واقع الشيء أو الفعل أو الفكرة جزء من تصورها، والأعلام والرايات الوطنية لا بد من معرفة جذورها ونشأتها وتاريخها قبل الحكم عليها. وللإحاطة بالموضوع، فإنه قد جرى العرف منذ مئات السنين أن لكل جماعة أو قبيلة أو دولة عَلَمًا يرمز إلى هويتها ورسالتها وفكرتها أو عقيدتها وسيادتها، وقضية ترفع من أجلها الراية أو العلَم، فعلَم دولة الخلافة، سواء اللواء أم الراية، يحمل عقيدة ورسالة الإسلام، وهوية الأمة الإسلامية المميِّزة لها عن غيرها من الأمم، وكذا علَم أمريكا يرمز للدولة الأمريكية الرأسمالية وإلى الأمة الأمريكية، وكذا علم بريطانيا وفرنسا وروسيا... إلخ ، فكل الأعلام والرايات تنبئ عن مبدأ وعقيدة وطريقة عيش معينة، وتعبِّر عن التوجه العام للدولة والمجتمع، وتدل على الهوية والرسالة، وبالمقابل أيضًا، تجد أن الأحزاب والمنظمات والمؤسسات تتبنَّى علمًا يرمز إلى كيانها ويتضمن ما يعبر عن هويتها وانتمائها وفكرتها.

وللرموز دلالات كما أن للألفاظ معاني، وللأشكال مدلولات، فالرموز ترمز إلى شيء، فاللغة والكتابة هي عبارة عن رموز، فالحروف نبرات صوتية ولها مخارج في اللسان والحلق، ومجموع الحروف تكوِّن كلمات، ومجموع الكلمات تكوِّن جملًا، ومجموع الجمل تكوِّن فقرات، ومجموع الفقرات تكون موضوعًا، ومجموع المواضيع تكوِّن كتابًا، وكلها تعبِّر عن أفكار ووقائع. فالكتابة واللغة هي رموز، والرموز في ذاتها مباحة في الإسلام، وكذلك الأعلام والرايات إلا إذا رمزت لكفر أو معصية أو فسق أو عنصرية أو تفرقة. فالقاعدة الشرعية تقول: «الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد دليل التحريم، والأصل في الأفعال التقيد بالحكم الشرعي» ولكن الإباحة تخرج إلى الحرمة عند خروج الرمز أو العلَم إلى الحرمة، فالرموز والأعلام أشياء، وهي في حكمها العام مباحة، وحكم الرمز يأخذ حكم ما يرمز إليه، وكذلك الرايات والأعلام، فاذا كان الرمز أو العلَم يرمز إلى الشرع الإسلامي أو إلى وحدة الأمة أو الخير ونصرة المستضعفين والمظلومين في الأرض فيجوز تبنِّيه وحمله والعمل تحت رايته، أما إذا كان الرمز أو العلَم مخالفًا للعقيدة الإسلامية أو يدعو إلى حرام أو تفرقة أو فتنة بين المسلمين، أو مبنيًّا على أساسِ مخطَّطِ أعداء الله كرمز للكفر أو الضلال أو مخالفةِ أحكام الشرع الحنيف، أو تشبُّهًا بالكفار وموالاتهم والدعوة إلى مبادئهم وعقائدهم وسننهم... فانه محرم تحريمًا قاطعًا. فمثلًا الصليب شكل هندسي؛ ولكنه صار رمزًا لعقيدة الثالوث

(باسم الابن والآب وروح القدس إله واحد) فلا يجوز وضعه كرمز في البيوت أو على الملابس أو الأماكن أو الأعلام؛ لأنه يرمز إلى عقيدة شرك وكفر، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [سورة المائدة: ٧٢] وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة المائدة: ٧٣] ونهاهم عن ذلك فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [سورة النساء: ١٧١] وكذلك، وعلى سبيل المثال، فإن المنجل والمطرقة يرمزان للعمال والمزارعين، وبعد اتِّخاذه رمزًا للشيوعية المناقِضة للإسلام في عقيدته وأحكامه ومقياسه فلا يجوز اتخاذها رمزًا أو وضعها كشعار. كذلك هي شعارات ورموز ورايات التفرقة بين المسلمين، كالرايات الوطنية أو القومية أو الطائفية أو الحزبية المفرِّقة لأمة محمد ﷺ والمبنيَّة على أساس اتفاقية (سايكس - بيكو)، وعلى أساس الديمقراطية فلا يجوز أخذها أو الدعوة إليها. وكذلك شعارات الماسونية والصهيونية فلا يجوز أخذها، وقد رأينا من حكَّام الجور والعمالة والخيانة المتولِّين في بلاد المسلمين من قبل المستعمر من يلبس الصليب وقلنسوة اليهود، ومنهم من يرفع رموزًا للهندوس والبوذيين، ويصنع لهم تماثيل وأصنامًا، وينصبها في بلاد المسلمين كأوثان هبل واللَّات والعُزَّى، ومنهم من يقدِّس رموزًا وشعارات الماسونية من أجل الحفاظ على ملكه، ويبتغي العزة بغير الله القوي العزيز، أو يخاف أن تصيبه دائرة، أو يخاف العيلة والفقر، وقد قال الله تعالى عنهم بأنهم منافقون، قال تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [سورة النساء: ١٣٩] وقال تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٖ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة المائدة: ٥٢] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَاۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة التوبة: ٢٨]. وكذلك الرموز والرايات التي ترمز إلى الفسق كرموز شبكات الدعارة أو الخمر كالرايات الحمراء التي تدل على بيوت الخَنا والفِسق ، أو الاشارات الضوئية التي يقصد بها شعارًا لكفر أو فسق، أو رمز مفاتن المرأة أو جسمها للدعاية لشيء ما، فكلها محرمة، ولا يجوز للمسلمين تبنِّيها أو اتِّخاذها رمزًا أو شعارًا أو علمًا. ومنها

الأصنام والأوثان والأضرحة التي يضعونها كرمز للعظماء والرؤساء وغيرهم فكلها أنصاب حرَّمها الله تعالى بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [سورة المائدة: ٩٠] واذا ما أضيف إلى ذلك رسم كل ذي روح ، وقد حرمه الإسلام تحريمًا قاطعًا. فالتماثيل: جمع تمثال، وهو الصورة المجسَّمة على شكل إنسان أو حيوان أو غيرهما مما فيه روح. والنصب: الأصل: العلم، وأحجار كان المشركون يذبحون عندها ولها، والنصب التذكارية: تماثيل يقيمونها في الميادين ونحوها؛ لإحياء ذكرى زعيم أو مُعظَّم أو مجهول كنصب الجندي المجهول.

وبيان ذلك في التاريخ ما حدَّثنا عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا ﴿٢٤﴾﴾ [سورة نوح: ٢٤] فكان هذا أول شرك حدث في الأرض بسبب النصب، فقد ذكر البخاري أن هؤلاء الخمسة (ودًّا وسواعاً ويغوث ويعوق ونسرًا) كانوا رجالًا صالحين، فلما ماتوا حزن عليهم قومهم، فأوحى إليهم الشيطان أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسمُّوها بأسمائهم ففعلوا ولم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت. فلما بعث الله نبيَّه نوحًا عليه السلام ينهى عن هذا الشرك الذي حصل بسبب تلك الصور التي نصبت امتنع قومه من قبول دعوته، وأصرُّوا على عبادة تلك الصور المنصوبة التي تحولَّت إلى أوثان وآلهة، فذكر الله الآية السابقة يحذر قومهم ويأمرهم أن يتركوا عبادة أولئك الأصنام الخمسة. والشرك في قوم إبراهيم كان بعبادة التماثيل والعكوف عندها، قال تعالى:﴿۞وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾[سورة الأنعام: ٧٤] والشرك في بني إسرائيل كان بعبادتهم صورة العجل الذي صنعه لهم السامريُّ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة البقرة/ ٥٤] وقال تعالى: ﴿۞وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَـٰلِمُونَ ٩٢ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ ۖ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [سورة البقرة: ٩٣] وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا

رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴿١٤٩﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٤٨-١٤٩]. وشرك النصارى كان بعبادتهم الصليب الذي يزعمون أنه على صورة المسيح عليه السلام عندما صلب، وهو لم يصلب بل شُبِّه لهم، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾.

وقد حذَّر الإسلام من تلك الأعمال أي النصب التذكارية لأنها مخالفة للعقيدة الإسلامية، وتشبُّه بالكفار، وتعظيم لذوات الأرواح، وتغيير لخلق الله، ووسيلة إلى الشرك، والوسيلة إلى الحرام محرمة، وهذه المخالفات مؤذنة بالهلاك والدمار وإنزال العذاب، كما حصل مع قوم نوح من هلاكهم بالطوفان. وسواء نصبت هذه الصور بالنحت والرسم أم وضعت هذه التماثيل في المجالس، أو الميادين، أو الحدائق، فهي وسيلة للتعظيم، وحرف اتجاه العقيدة إلى عبادة الأصنام، والتشبُّه بالكفار. واذا كان الكفار ليس لهم عقيدة يحافظون عليها، فانه لا يجوز للمسلمين أن يتشبَّهوا بهم ويشاركوهم في هذا العمل، ولا بدَّ أن ندعو بدعاء إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة ابراهيم: ٣٥] فخاف على نفسه وعلى أمته من بعده من هذه الفتنة، فدعا بهذه الدعوة.

وموقفنا اليوم مع الأعلام هو نفس موقف إبراهيم عليه السلام مع الأصنام، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الأنبياء]. وقد قال علي ﷺ لأبي الهياج الأسدي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «أن لا تدع قبرًا مشرفًا إلا سوَّيتَه، ولا صورة في بيت إلا طمستَها» رواه مسلم. قال النووي: فِيهِ الْأَمْر بِتَغْيِيرِ صُوَر ذَوَات الْأَرْوَاح. اهـ. وقال السندي: «إِلَّا طَمَسْتهَا»: طَمَسَهَا أَمْحَاهَا بِقَطْعِ رَأْسِهَا وَتَغْيِيرِ وَجْهِهَا وَنَحْوِ ذَلِكَ. اهـ

وإذا ما أسقطنا ما سبق على الأعلام الوطنية والرايات الطائفية، نجد أنها مخالفة لعقيدة المسلمين وأحكام الشرع الإسلامي الحنيف وذلك للآتي:

١- أساس ونشأة العلم الوطني مناقض لعقيدة المسلمين والأحكام الشرعية التي تأمر بالوحدة والاعتصام وتحرم التفرقة والعنصرية.

٢- رمزية العلم، فهو يرمز إلى كيانات قطرية ذات حدود رسمها الكافر المستعمر، يفصل كل قطر من بلاد المسلمين عن الأقطار المجاورة، فهو يرمز إلى الولاء للوطن، وهذا أمر محرَّم في الإسلام؛ لأن المسلم ولاءه لله ولرسوله وللإسلام وللأمة الإسلامية. والولاء المبني على ولاء الله ورسوله وكتابه هو ولاء عقائدي متين وثابت وراسخ، وبالطبع سيكون ولاء المسلم لأمته الإسلامية أمرًا واجبًا برسالتها وغايتها ورايتها. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ۝٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ۝٥٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٥٧﴾ [سورة المائدة].

٣- العلم الوطني رسمه أعداء الله، طلائع المستعمرين الحاقدين على الإسلام والمسلمين، والساعون لتمزيق الأمة ومنع وحدتها، وتأخير إقامة الخلافة... رسمه أعداء الله أمثال مارك سايكس وجورج بيكو وغورو وليوطي... فهؤلاء هم المخطِّطون والمنفِّذون والراسمون للأعلام الوطنية.

٤- العلم الوطني أُقِرَّ بناء على دستور علماني، فكان أساس نشأته هو العلمانية وليس مبدأ الأمة، فالعلمانية هي التي تحكمه، وهو يرمز إلى أمر لا ينبثق عن العقيدة الإسلامية والأحكام الشرعية. فالعلمانية: هي فكرة دخيلة على المسلمين، وهي فكرة نتجت عن الصراع بين الكنيسة ومعها الملوك والأباطرة من جهة وبين روَّاد الإصلاح الديني من جهة أخرى، ونتج عن هذا الصراع الحل الوسط وهو (فصل الدين عن الحياة) أي الاعتراف بالدين ضمنًا أنه موجود؛ ولكن لا يتدخل في شؤون حياتنا، ويكون في العبادات وحسب. والمشكلة كانت لديهم هي مسألة: من الحاكم على الأفعال والأشياء بالجواز وعدم الجواز، أي بالحل والحرمة؟ ومن له حق إصدار تشريع الحلال والحرام؟ هل هو الملك، أو القسيس، أو الشعب، أو الدين؟ وبعد جدال قالوا بأن الدين النصراني جرَّبناه، وقد حارب العلم والفكر والإبداع والاختراع، وكذلك الملك كان مستبدًّا يأكل الحقوق وينتهك كرامة الانسان باسم (الحق الإلهي)، ثم وصلوا إلى أن الشعب هو الحاكم، فكانت النتيجة هي (فصل الدين عن التشريع) والشعب هو المشرِّع، أي الحاكم على الأفعال والأشياء، وهذه الفكرة هي فكرة كفرية بالنسبة لنا كمسلمين؛ لأن الحاكم على الأفعال والأشياء بالحل والحرمة هو الله تعالى وحده، ويكون بالوحي المنزَّل على محمد ﷺ. وكذلك قام التشريع عندهم على فكرة خيالية لا يمكن تحقيقها لأن الشعب بمجموعه لو قام في صعيد واحد يريد إصدار تشريع لا

يستطيعون جميعهم الاتفاق على رأي أو حكم، فكانت الحيلة والمكر بإيجاد ما يسمى (السلطة التشريعية)، أي يمكن أن تصلي وتحفظ القرآن وتبني مسجدًا... ولكن لا يتدخل الدين في معالجة أمراض الأمة، أو يحل مشاكلها، لأنه دين كهنوتي ورهبانية ابتدعوها ما كتبها الله تعالى... هكذا وضعوا الأفكار، فكانت أساس الخراب والدمار في العالم، وخاصة في بلاد المسلمين، ومنها نتج (فصل الدين عن الدولة) أي إن الحاكمية في الحكم والاقتصاد والمعاملات والعقوبات لا تكون للدين وإنما لأهواء البشر؛ بناء على ذلك صيغ كل شيء باسم (حكم الشعب) المنزوع العقيدة، ومنها الأعلام الوطنية منزوعة العقيدة، فحكمه حكم ما بُني عليه وما يرمز إليه، وهو الحفاظ على الكيانات العلمانية المصطنعة من الكافر المستعمر، والأقطار الوطنية المفرِّقة للأمة .

٥- العلم الوطني وضع لهدف وغاية، فمن استصنعه هو الذي جعله رمزًا لما يريد، فالألفاظ والمصطلحات لها معانٍ ودلالات. والاصطلاح: هو اتفاق قوم معيَّنين على لفظة معيَّنة أو رمز معيَّن لمعنى معيَّن، يتبادر إلى ذهن السامع عند سماع تلك اللفظة ذلك المعنى، أو عند رؤية ذلك الرمز أو العلَم. فمثلًا عندما ترى علمًا أسودَ، أو علمًا أبيضَ مكتوبًا عليه: «لا اله الا الله محمد رسول الله» يتبادر إلى ذهنك الإسلام والدولة الإسلامية، وعندما ترى علمًا مكتوبًا عليه: «يا لَثارات الحسين» فهو يرمز إلى الطائفية المذهبية، وعندما ترى علمًا ملوَّنًا فهو يرمز إلى تلك الدويلة القطرية التي تتبناه...

٦- إن المصطلحات والرموز وُضعت لمعانٍ معيَّنة، ولا يجوز ادِّعاء تغييرها، فمثلًا: من رفع الصليب أو لبسه، فماذا يقصد؟ لا شك إنه يقصد به الآب والابن وروح القدس إله واحد؟ إنه يقصد الثالوث النصراني، وهو شرك مخرج من الملة. وكذلك من لبس قلنسوة اليهود، أو رموز الهندوس أو البوذيين أو المجوس، وهو اتِّباع خطوات الشياطين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩﴾ ومن هنا جاء تحريم الإسلام للتشبه باليهود والنصارى فيما هو من أمور دينهم.

وكذلك الألوان وحكم رمزيتها، فاللون له معنى معين وضعه أهل اللغة له، فالألوان مباحة من حيث الأصل، وهي للزينة في اللباس وغيره؛ ولكن عندما يُصطلح عليها لمعانٍ غير رمزيتها اللغوية فإنها تدل على عقيدة معينة أو فكرة ما، فإن كان رمز اللون يدل على معنى يخالف الإسلام فلا يجوز تبنيه، ولا رفعه، كاللون الأحمر الذي اتخذ رمزًا للشيوعية كعقيدة «لا إله، والحياة مادة» (النجمة الحمراء) أو كعلم

ليدل على معصية (الرايات الحمراء) في الجاهلية، وكذا الألوان التي تدل على علامات التحرش بالنساء، أو علامة للثأر أو القتل كاللون الأحمر الذي وضع لثارات الحسين «يا لَثارات الحسين» ممن يثأرون؟! ومن يقتلون بدل الحسين عليه السلام!! وكذلك الألوان التي تدل على تشبُّه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، فيما رواه ابن عباس قال: «**لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المخنَّثين من الرجال، والمترجِّلات من النساء**». وفي رواية: «**لعن رسول الله صلى عليه وسلم المتشبِّهين من الرجال بالنساء، والمتشبِّهات من النساء بالرجال**» رواه البخاري. وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال: «**لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة ،والمرأة تلبس لبسة الرجل**» رواه أبو داود بإسناد صحيح.

٧- أما الرايات الطائفية، فأساس نشأتها هو فكرة جماعة أو طائفة تدعو لعصبية ولفكر الطائفة ونبذ ما سواها، والغاية من رفعها هو الانتقام والثأر، وتفريق الأمة، وحرف اتِّجاه الفكر والعقيدة إلى غاية أخرى مخالفة لعقيدة الإسلام وأحكامه الشرعية الجامعة والرافضة للعنصرية والفرقة والتمييز .

٨- وإذا ما ضبطنا ما سبق على قاعدة الاصطلاح، ومتى يأخذ المسلمون المصطلحات والرموز والألوان، نجد أن القرآن الكريم قد نهى المسلمين عن استخدام لفظة (رَاعِنَا) بعد أن اصطلح عليها اليهود في مدينة سيدنا الرسول ﷺ محرِّفين معناها، فقالوا عنها مصطلحين بأنها تعني الرعونة، ويريدون النقيصة والوقيعة والسب والشتيمة، كما ذكر الإمام محمد الباقر، والإمام الطبري، وابن كثير وغيرهم في تفسير الآية، وأمر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أن يقول المسلمون لفظة (انظُرْنَا) بدلًا من (رَاعِنَا)، مع أن اللفظتين بمعنى واحد من حيث اللغة؛ ولكن لـمّا اختلف الاصطلاح جاء النهي القرآني، بتغيير اللفظ قال تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤﴾.

وما هذا النهي عن استعمال لفظ مشهور قبل اصطلاح اليهود عليه، إلا لإبعاد المسلمين من الوقوع في شبهة الخطأ والإثم، ولئلا يكون هذا الاستعمال ذريعة إلى فساد غير مقصود، وحتى يقطع الطريق عن الفساد المقصود من قبل اليهود؛ إذاً فكيف يكون الحال باستعمال ألفاظ لم تعرف في مجتمعنا ولم تذكر في ثقافتنا الإسلامية الغزيرة، ولا هي من مفاهيم حضارتنا النيرة، بل هي مصطلحات مخالفة للإسلام صراحة، بل تحمل معنى الفكر المخالف للإسلام؛ فكانت سببًا لميل النفوس والأذهان إلى غير الإسلام. [يتبع]

ملصق دعائي يثير غضب ماكرون لتشبيهه بـ «هتلر»

أثار ملصق دعائي غضب الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون ودفعه إلى تقديم شكوى ضد أحد سكان إقليم (فار) جنوبي البلاد؛ إذ يحتوي الملصق على صورة تشبِّه ماكرون بالزعيم النازي أدولف هتلر. وكانت قد انتشرت لوحات إعلانية تحمل هذا الملصق في إقليم فار بسبب فرض ماكرون شهادات صحية لدخول الأماكن العامة ضمن إجراءات مكافحة فيروس كورونا. وتعجّب صاحب لوحات الإعلانات ميشيل فلوري من قرار مقاضاته، ورأى أن إيمانويل ماكرون يناقض نفسه. ففي الوقت الذي يسمح فيه بنشر صور مسيئة إلى النبي محمد بزعم حرية التعبير يرفض تشبيهه بالدكتاتور. وكانت قد شهدت فرنسا في أكتوبر/تشرين الأول الماضي نشر صور مسيئة للنبي محمد على واجهات مبان حكومية اعتبرها ماكرون في ذلك الوقت تندرج تحت حرية التعبير التي تعهد بحمايتها. وأثارت تصريحات ماكرون آنذاك موجة غضب واسعة بين المسلمين في أنحاء العالم وأُطلقت حملات لمقاطعة المنتجات الفرنسية مستمرة إلى الآن في عدة دول.

الوعي: ماكرون رئيس دولة رأسمالية استعمارية يملأ الحقد قلبه على الإسلام، ويحاول أن يترأس دولَ العالم في معاداته للإسلام كدين وكحضارة منافسة لمبدئه الفاسد، أما من حيث الخبر فإن هتلر على إجرامه وعنصريته كان أقلَّ سوءًا من ماكرون؛ لذلك ليس له أن يعترض على هذا التشبيه.

العالم يحترق بفعل التغير المناخي

تستعر الحرائق هذه السنة في قارات العالم الخمس، وأسفرت هذه الحرائق عن مقتل الكثير من السكان في عدة دول، واحتراق ملايين الهكتارات من الأحراش والغابات في هذه الدول، ورافقتها الكوارث من خسائر مادية باهظة لم يتم حصرها حتى الآن، وتشريد واسع للسكان المتضررين منها... ويرى علماء روس أن الحرائق الحالية هي بالفعل نتيجة ارتفاع درجات الحرارة عالميًا، بحسب ما ذكرت فرانس برس. إن **ملف التغيُّر المناخي وتأثيره المدمِّر على الأرض ما زال ينتظر الحلول الجذرية، لكن في الأثناء، فإن الأرض تشهد حالة كارثية مدمِّرة متمثِّلة في الحرائق، التي تلف**

الأرض من شرقها إلى غربها. وصدر تقرير أممي ذكر فيه «إن بعض عواقب الاحترار المناخي، بما فيها ذوبان الجليد وارتفاع منسوب مياه البحر ستبقى «غير قابلة للعكس لقرون أو لآلاف السنين». وتوقع التقرير الأممي أن يصل الاحترار العالمي إلى ١,٥ درجة مئوية مقارنة بعصر ما قبل الثورة الصناعية. وحمّل التقرير الأممي النشاطات البشرية مسؤولية ظاهرة الاحتباس الحراري. وقال الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش في بيان أن التقرير «إنذار أحمر للبشرية. أجراس الإنذار تصم الآذان: انبعاثات غازات الاحتباس الحراري الناتجة عن الوقود الأحفوري وإزالة الغابات تخنق كوكبنا". وكان الطقس المتطرف المرتبط بتغير المناخ قد تسبب في إحداث فوضى في جميع أنحاء العالم في الأسابيع الأخيرة، بعدما أدت الأمطار الغزيرة إلى حدوث فيضانات في مناطق شمال أوروبا، واشتعال حرائق الغابات في جنوبها.

الوعي: إن الحضارة الغربية وجشع الشركات الرأسمالية هي المسؤولة حصريًا عن مشكلة الاحتباس الحراري وما جره على العالم من ويلات الحرائق، والفيضانات، وذوبان الجليد، وارتفاع منسوب البحر، وازدياد شدة الأعاصير، وتلوُّث الجو، وظهور ظاهرة التصحر، وكثرة وشدة انفجار البراكين... وتعتبر أمريكا وحدها مسؤولة عن ٢٥٪ من هذه المشكلة، والحلول التي تطرح عالميًا ليست جذرية؛ لأنها متعلقة بالفكر الرأسمالي الذي لا يفكر إلا بتشغيل مصانعه وإدرار الأرباح من غير حدود ولو على حساب البشرية جميعها. وإنه إذا كان بايدن يفكر في الحل الترقيعي هذا فإن الحزب الجمهوري في أمريكا ضد هذا الحل لأنه ببساطة يكلف الشركات الأمريكية خسارة سنوية تقدر بالتريليونات من الدولارات.

العملة الجديدة في مصر تثير جدلًا بشأن ألوان «علم المثليين» عليها

أثار تصميم العملة الجديدة المصرية جدلًا وانتقادات عبر الشبكات الاجتماعية؛ إذ اعتبر البعض أن المسجد المرسوم على العملة لُوِّن بعلم «الرينبو» أو "ألوان الطيف» المرتبطة بمجتمع الميم، وهو الشعار الذي يستخدمه «المثليون جنسيًا»، ما دفع مسؤولًا في البنك المركزي للتأكيد أن النماذج مبدئية وقابلة للتطوير. وقد انتقد الناس ظهور هذه الألوان على العملة الورقية معتبرين أنها تروج لـ«شعار المثليين»، وكان البنك المركزي قد طرح صورًا لفئتي العشرة والعشرين جنيهًا، وحملت الأولى صورة مسجد الفتاح العليم، الذي افتتحه الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي منذ عامين. بينما حملت فئة العشرين جنيها صورة مسجد محمد علي، وهو أحد المساجد الأثرية في العاصمة المصرية. أما علم المثلية الجنسية فهو رمز لـ«حركات تحرر

المثليِّين والمتحوِّلين جنسيًّا وثنائيي الجنس» وهو يضم ٦ أجزاء ملونة بألوان الطيف، الأحمر، والأصفر، والبرتقالي، والأزرق، والأخضر، والبنفسجي.

الوعي: عادة ما تتضمن تصميمات العملات في العالم رسومات ورموزًا ذات دلالات ومعانٍ متعلقة بالبلد، والبعض منها تحتوي على رموز خفية ملغومة، والعملة الأمريكية مشهورة في ذلك بما تتضمنه من رموز متعلقة بالماسونية؛ لذلك يمكن القول باطمئنان إن هذه المحاولة من السلطات المصرية ليست بريئة، وليست بعيدة عن طريقة تفكير السيسي وتبعيته لكل ما يغضب الله وينكي دينه ويرضي الغرب ويهود، وبالتالي تثبت أحقية الجدل الذي ثار من الناس عليها.

هل فعلًا قرارات قيس سعيِّد هي المسمار الأخير في نعش الإسلام السياسي، والربيع العربي؟

نشرت صحيفة «واشنطن بوست» تقريرًا لكلير باركر قالت فيه إن أصواتًا مؤثرة في مصر والسعودية والإمارات احتفت بما قام به قيس سعيِّد في تونس واعتبرتها ضربة للإسلام السياسي؛ حيث تعتبر تونس بالنسبة للبعض أنها تمثل قصة النجاح الوحيدة من الربيع العرب، وأنها لا تزال رمزًا لنجاح الربيع العربي، وإن حركة النهضة قامت بانقلاب حين أمسكت بالمؤسسات عقب نجاحه، وترى السعودية ومصر والإمارات أن الربيع العربي في تونس أكبر تحد لها، وبالتالي فإن أحداث تونس تمثل المسمار الأخير في نعش الإسلام السياسي، والربيع العربي. وحاولت الدول الثلاث التي تعارض حركة النهضة، وعلى مدى سنوات، ربطها بالإخوان والإرهاب، وقالت الصحيفة السعودية شبه الرسمية «عكاظ» في عنوان رئيسي لها: «تونس تثور ضد الإخوان». أما صحيفة «٢٤ ميديا» الإماراتية، فقد قالت بفرح: «قرار شجاع لإنقاذ تونس». ووصفت صحيفة «الأهرام» الرسمية الأحداث «بخسارة آخر معقل للإخوان في المنطقة». وتتعامل هذه الدول مع الإخوان المسلمين والحركات التي تدعو للإسلام السياسي كتهديد لها.

الوعي: بغض النظر عن التحليل السياسي المتعلق بالصراع الدولي لما يجري في تونس، فإنَّ ما يشاع بأن الربيع العربي قد فشل، وأن تونس هي المسمار الأخير في نعشه، فإننا نقول إن الأسباب الموضوعية التي أدت إلى قيام الربيع العربي ما زالت قائمة، بل اشتدت أكثر؛ لذلك فإن محاولات التغيير في الأمة ستستمر، وإن المستقبل المنشود هو للإسلام السياسي، وإن الإسلام السياسي لا يمثله الإخوان ولا ديمقراطيتهم المزعومة، وإنما يمثله من يطرح التغيير الجذري على أساس إقامة الخلافة الراشدة التي تكون على منهاج النبوة.

قال الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

مفهوم النصر في القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ [الحج: ١٥].

إنّ النصر من المفاهيم الإسلامية التي ركّز عليها القرآن ونالت نصيبًا من الاهتمام القرآني والتي جعلها الله منّة منه يمنُّ بها على عباده في الدنيا والآخرة. وقد استخدمها القرآن بمعانٍ مختلفة تستدعي المتابعة والتدبر والاعتبار؛ وعليه لابد من فهم الفوارق بينها لما لذلك من أثر في فهم كتاب الله وتدبر آياته، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٦].

معاني النصر في القرآن الكريم:

وأهمّ هذه المعاني التي وردت في القرآن لكلمة نصر ما يأتي:

١- الحماية والدفع: استُخدِمت مادّة نصر في القرآن الكريم في هذا المعنى مرّاتٍ عدة وفي أكثر من سياقٍ، ربّما كان أكثرها في سياق تهديد الكافرين أو العاصين بعدم قدرةٍ أحدٍ على حمايتهم من عذاب الله إذا نزل بهم. وأمثلة ذلك في القرآن كثير، منها:

أ - نفي الحماية من عذاب الآخرة: ورد هذا المعنى في عدد من آيات القرآن يخبرنا الله فيها عن حتميّة عذاب الآخرة لمستحقّيه، وعجز أيّ قدرة أو جهة عن التدخّل للتخفيف من هذا العذاب أو دفعه عمّن يستحقّه، ولا إمكان تبديله بغيره إن لم يرد الله تعالى ذلك، وهذا كما في قوله عزّ وجلّ في وصف يوم القيامة: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الدخان:٤١] ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الطور: ٤٦].

ب- نفي القدرة الذاتيّة على دفع العذاب: ورد في قصّة النبيّ نوح عليه السلام أنّ قومه طلبوا منه إبعاد بعض المقرّبين من المؤمنين به بحجّة أنّهم أراذل القوم، فردّ عليهم بمطالبتهم

بحمايته من آثار هذا الطرد ودفع العذاب الإلهيّ عنه إن طرد هؤلاء المؤمنين المحيطين: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠﴾ومعنى هذه الآية هو نفي وبيان عجز أيّ قدرة على حماية النبيّ نوحٍ من عذاب الله ودفعه عنه إن هو خالف إرادة الله واستجاب طلب الكفّار الذين كانوا يأنفون من مجالسة فقراء القوم وضعفائهم، وبعبارة أخرى هو استفهام في معنى النفي. والموقف النبويّ الحاسم نفسه يتكرّر من النبيّ صالح عليه السلام في الردّ على قومه عندما أعلنوا سأمهم من إصرارهم على دعوته وترغيبه في الميل إلى دينهم.

٢- الانتقام: استُخدمت مادّة «نصر» في هذا المعنى في آيات عدّة من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧﴾ [الشعراء: ٢٢٧]. وقد وردت هذه الآية في سياق الحديث عن الشعراء الذين كانوا يهجون النبيّ ﷺ فواجههم المسلمون بالسلاح نفسه وانتصروا لرسولهم ولأنفسهم. ومن أمثلة استعمال هذه المادّة في هذا المعنى أي الانتقام قوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ٤١﴾ [الشورى: ٤١].

٣- العون والمساعدة: من المعاني الأساسيّة لمادّة «نصر» العون والمساعدة. يقول ابن منظور: النصر: إعانة المظلوم، نصره على عدوّه ينصره ونصره ينصر نصرًا... والاسم النُّصرة... والأنصار أنصار النبيّ ﷺ غلبت عليهم الصفة فجرى مجرى الأسماء... وتناصروا: نصر بعضهم بعضًا» [لسان العرب،ج٥/ص٢١٠]. وتوقّف بعض علماء اللغة عند قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ١٥﴾ [الحج:١٥] ويجعلها أحد الشواهد على استخدام هذه المادة في هذا المعنى فيقول: «قوله: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ ﴾ ويعينه في الدنيا والآخرة ويغيظه أن يظفر بمطلوبه» [فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين، ج٣/ص٤٩٤] وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم لإحصاء المعاني التي تستخدم فيها هذه المادّة نجد أنّ القسم الأكبر من موارد استخدامها هو استخدامها في هذا المعنى، وهاك بعض النماذج التي تؤيّد هذه الدعوى: قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠] وقال تعالى: ﴿ وَنَصَرۡنَٰهُمۡ فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٦﴾ [الصافات:١١٦] وقال تعالى: ﴿وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١٢﴾ [الحشر: ١٢] وقال تعالى: ﴿جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾[آل عمران:٨١]... وغير هذه الآيات كثير يكشف عن استخدام هذه الكلمة في هذا المعنى، أي معنى المساعدة والعون. وهذه الكلمة استُخدمت ما يقرب من مئة وخمسين مرّة في القرآن الكريم.

أما عن الفرق بين النصرة والإعانة: أن النصرة لا تكون إلا على المنازِع المغالِب والخصم المناوِئ المشاغِب، والإعانة تكون على ذلك وعلى غيره. تقول أعانه على من غالبه ونازعه، ونصره عليه وأعانه على فقره إذا أعطاه ما يعينه وأعانه على الأحمال. ولا يقال نصره على ذلك، فالإعانة عامة والنصرة خاصة. والفرق بين النصر والمعونة أن «**النصر: يختص بالمعونة على الأعداء. والمعونة: عامة في كل شيء. فكل نصر معونة ولا ينعكس**» [أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص٥٤٠].

٤- **الغلبة والظفر:** رابع المعاني التي تُستخدم فيها كلمة "**نصر**» ومشتقّاتها التغلّب على العدوّ والظفر عليه. وهذا المعنى الأخير هو المعنى الذي يتبادر إلى الذهن عندما تُسمع كلمة «نصر» ومشتقّاتها في هذا العصر بين أهل العربية. وربّما يفهم هذا المعنى من بعض الآيات في القرآن الكريم التي وردت فيها كلمة نصر. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ١٠] ويكشف تتبّع كلمات المفسّرين عن أنّهم يرون أنّ هذه الكلمة تدلّ على هذا المعنى الأخير. يقول السيد الطباطبائي في شرح الآية المشار إليها أعلاه: "**بيان انحصار حقيقة النصر فيه تعالى، وأنّه لو كان بكثرة العدد والقوّة والشوكة كانت الدائرة يومئذ للمشركين بما لهم من الكثرة والقوّة على المسلمين على ما بهم من القلّة والضعف**» [الميزان في تفسير القرآن، ج٩/ص٢١]. ويقول مفسّرٌ آخر: "**ولمّا كان ذلك، فهمنا أنّ النصر ليس إلا بيده، وأنّ شيئًا من الإمداد أو غيره لا يوجب النصر بذاته**» [البقاعي، نظم الدرر في تفسير الآيات والسور نقلًا عن برنامج المكتبة الشاملة الإلكتروني].

يبدو من خلال التأمّل في موارد استعمال هذه الكلمة في القرآن الكريم، بالحدّ الأدنى، أنّ الأصل فيها هو العون لتحقيق هدفٍ والوصول إلى غايةٍ ولو في حالة المغالبة والخصام. فإذا تحقّقت هذه الغاية وأثمرت النصرة والمساعدة ثمرتهما قيل عن هذه الحالة الجديدة التي تترتّب عليهما نصرًا بدل أن يُقال غلبة أو ظفرًا أو ما شابههما من الكلمات التي تفيد هذا المعنى.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وهيئ لنا من ينصر دينك... اللهم هيئ لنا نصرة كما هيَّأتها لمصعب بن عمير... اللهم اجعل ثلة من أنصارك تهوي أفئدتهم لدعوتنا، واجعلهم يهتدون إلينا، وانصرنا بهم... اللهم افتح قلوب المسلمين وعلمائهم ووجهائهم وأهل القوة فيهم لدعوتنا وحزبنا واجعلهم ينصروننا، وأعمِ بصر وبصيرة المخابرات والأنظمة وأهل السوء عنا... اللهم قلِّلنا في أعينهم، وقلِّلهم في أعيننا، وأبرم لهذه الأمة خلافة راشدة تعزُّ بها الإسلام وأهله، وتذلُّ بها الكفر وأهله... اللهم آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

التَّخفيفُ على المسلمينَ فيما شُرِعَ لهم (٢)

شرع الله الخالق المدبِّر، العليم الخبير، للإنسان ما يصلحه، وكان ما شرعه له رحمة منه وفيه تخفيف له، قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾ وهذا يعني مما يعنيه أن الشرع هو حصرًا من الله، وأن على المسلم ألا يشقَّ على نفسه فيما شرعه الله له، فيحملها فوق طاقتها، ما يؤدي به إلى هجرها بالكليَّة، وقد جاءت كثير من الأحاديث التي توجه المسلم بهذا الاتجاه حتى تكون عبادته عن رغبة وخشوع وخضوع فتزيده إيمانًا وتسليمًا.

- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دخَلَ عليها وعندَها امرأةٌ قال: «**مَنْ هذه؟**» قالت: هذه فُلانةٌ، تذْكرُ مِنْ صَلاتِها، قال: «**مَهْ، عليكم بِما تُطِيقونَ، فوَاللهِ لا يَمَلُّ اللهُ حتَّى تَملُّوا**» وكانَ أحبُّ الدِّينِ إليهِ ما دَاومَ صَاحبُه عليه. متفق عليه.

يأتي هذا الحديث في باب الاقتصاد في الطاعة، فالقول: «تذْكرُ مِنْ صَلاتِها» يعني أنها تصلي كثيرًا بما يشقُّ عليها وتعجز عنه في المستقبل فلا تديمه. وقوله ﷺ: «**مَهْ**» كلمةُ نَهيٍ وزَجْرٍ، وهي اسم فعل بمعنَى «اكْفُفْ». فطلب منا أن نأخذ من العمل بما نطيق، فقال: «**عليكم بما تُطيقون**» يعني لا تكلفوا أنفسكم وتجهدوها، فإن الإنسان إذا أجهد نفسه، وكلَّف نفسه، ملَّت وكلَّت، ثم انحسرت وانقطعت. ومعنَى «**لا يَمَلُّ اللهُ حتَّى تَملُّوا**» أي: لا يقْطعُ ثوابَه عنكم وجزاءَ أعمالِكم، ويُعاملُكم معاملةَ المالِّ حتَّى تَمَلُّوا فتتركوا، فينبغِي لكم أن تأخذوا ما تُطِيقون الدَّوامَ عليه ليدُومَ ثوابُه لكم وفضلُه عليكم. وفي فهمها للحديث، ذكرت عائشة أن النبي ﷺ كان أحبُّ الدِّينِ إليه أدومَه، أي: ما دام عليه صاحبه، يعني أن العمل وإن قلَّ إذا داومتَ عليه كان أحسنَ لك؛ لأنك تفعل العمل براحة، وتتركه وأنت ترغب فيه، لا تتركه وأنت تملُّ منه؛ ولهذا قال النبي ﷺ «**فوالله لا يملُّ الله حتَّى تملُّوا**»، يعني أن الله عز وجل يعطيكم من الثواب بقدر عملكم، مهما داومتم من العمل فإن الله تعالى يثيبكم عليه.

وقد بلغ النبي ﷺ أن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لأصومنَّ النهار ولأقومنَّ الليل ما عشتُ، قال ذلك رغبة في الخير، فبلغ ذلك النبي عليه الصلاة والسلام، فقال له: «**أنت الذي قلتَ ذلك؟**» قال: نعم يا رسول الله، قال: «**إنَّك لا تُطيق ذلك**» ثم أمره أن يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، فقال: إني أُطيقُ أكثر من ذلك، فأمره أن يصومَ يومًا ويُفطرَ يومين، فقال: أُطيق أكثر من ذلك، فقال: «**صُمْ يومًا وأَفطرْ يومًا**» قال: إني أُطيق أكثر من ذلك، قال: «**لا أكثرَ من ذلك، هذا صيامُ داود**». وبعد أن كبر عبدُ الله بن عمرو وصار يشقُّ عليه أن يصوم يومًا ويترك يومًا، قال: ليتني

قبلتُ رخصةَ النبي ﷺ، ثم صار يصوم خمسة عشرًا يومًا سردًا، ويفطر خمسة عشر يومًا سردًا. ففي هذا دليل على أن الإنسان ينبغي له أن يعمل العبادة على وجه مقتصد، لا غلوّ إفراطَ ولا تفريط، حتى يتمكن من الاستمرار عليها، وأحبُّ العمل إلى الله أدومُه وإن قلَّ.

- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا نَعَسَ أَحدُكم وهو يُصَلِّي، فَلْيَرْقُدْ حتَّى يَذْهَبَ عَنْه النَّومُ، فإنَّ أحَدَكُمْ إذَا صَلَّى وهو نَاعِسٌ لا يَدْرِي لعلَّه يَذْهبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبَّ نَفْسَه**» مُتَّفقٌ عليه.

يذكر الحديث عن فترةٍ في الحواس يكون نتيجة غلبةِ النوم، فلا يستطيع الإنسانُ معه أن يتحكَّم في حواسه؛ ولذلك أرشد النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم مَنْ غلب عليه النعاسُ وهو يصلي أن ينصرفَ من صلاتِه، ولا يصلي وهو ناعسٌ، ثم علَّل ذلك بقولِ: «فإنَّ أحدَهم إذا صَلَّى وهو ناعِسٌ لا يدري لعلَّه يذهبُ يستغفرُ فيسبَّ نفسَه بدل أن يقول: اللهم اغفر لي ذنبي أو ما أذنبت، يذهبُ يسبَّ نفسَه بهذا الذنب الذي أراد أن يستغفرَ الله منه، وكذلك ربما أراد أن يسأل الله الجنة فيسأله النار، وربما أراد أن يسأل الهداية فيسأل ربَّه الضلالةَ وهكذا، لهذا أمره النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أن يرقدَ. ومِنْ حِكَمِ ذلك أن الإنسانَ لنفسِه عليه حق، فإذا أجبر نفسه على فعل العبادة مع المشقة، فإنه يكون قد ظلم نفسه... والله أعلم.

- **روى أبو قتادة عن النبي ﷺ «إنِّي لأقومُ إلى الصَّلاةِ وأنا أريدُ أن أطوِّلَ فيها، فأسمعُ بُكاءَ الصَّبيِّ فأتجوَّزُ كراهيةَ أن أشقَّ على أمِّهِ». رواه أبو داود.**

كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ يُحِبُّ أن يُطيلَ في صَلاتِه، ولكنَّه في الوقتِ ذاتِه كان يُراعي حاجاتِ النَّاسِ؛ فربُما خفَّفَ في الصَّلاةِ لأجْلِ بعض الناس، فقوله صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ: «**إنِّي لَأقومُ إلى الصَّلاةِ وأنا أُريدُ أن أُطوِّلَ فيها**»، أي: يُريدُ إتمامَها وإكمالَها على الوجهِ المعتادِ، وليس المرادُ الإطالةَ الَّتي نهَى النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم الأئمَّةَ عنها «**فأسمَعُ بُكاءَ الصَّبيِّ؛ فأتَجوَّزُ**»، أي: فأسمَعُ بكاءَ صَبيٍّ مِن الصِّبيانِ معَ أمِّه الَّتي تُصلِّي في الجَماعةِ؛ فأُخفِّفُ الصَّلاةَ ولا أُطيلُ فيها بالقراءةِ وغيرِها؛ "**كراهيةَ أن أشُقَّ على أمِّه**"، أي: إشفاقًا به وبأمِّه؛ بسبب بكاءِ طفلِها؛ فتَنْشَغِلُ عن الصَّلاةِ. وفي الحديثِ: الحثُّ على مُراعاةِ أحوالِ المأمومين في الصَّلاةِ، وعدمِ المشقَّةِ عليهم بالتَّطْويلِ. ويؤكِّد ذلك الحديث الذي رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن معاذ بن جبل رضي الله عنه كان يصلي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم يأتي قومه فيصلي بهم الصلاة، فقرأ بهم البقرة، فتجوَّز رجل فصلى صلاة خفيفة فبلغ ذلك معاذًا فقال: إنه منافق، فبلغ ذلك الرجل فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، إنَّا قومٌ نعمل بأيدينا ونسقي بنواضحنا (النواضح: جمع ناضح وهو البعير الذي يستعمل في سقي الزروع)، وإن معاذًا صلّى بنا البارحة فقرأ البقرة، فتجوَّزت فزعم أني منافق، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا معاذ،**

أفتّان أنت؟» - قالها ثلاثًا – **«اقرأ: (والشمس وضحاها) و(سبّح اسم ربك الأعلى). ونحوها»** متفق عليه واللفظ للبخاري. وإنه لواضح كيف أنه في هذا الحديث النبوي الشريف إرشاد بمراعاة أحوال المأمومين خلفه؛ لأنهم ليسوا على شاكلة واحدة، ويجدر الذكر هنا أن المجتمعات تختلف، والظروف تتباين، فقد يقع المسجد في وسط السوق أو قرب المصانع أو بجانب المزارع والحقول فيفضَّل حينها قصر الصلاة وعدم تطويلها، وقد يكون في موطن يغلب فيه طلّاب العلم وأصحاب العبادة فيمكن حينها للإمام أن يزيد من مقدار صلاته. وفي قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **«يا معاذ، أفتّان أنت؟»** نهيٌ عن كل ما يُنفّرُ عن الدين ويصدُّ عن سبيله أو يوقع الناس في الفتنة، سواءأكان بالقول أم بالفعل، وعلى الدعاة أن يتنبّهوا لهذه اللفتة النبويّة خصوصًا عند التعامل مع المهتدين الجدد.

- **عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «ما خُيِّرَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بيْنَ أمْرَيْنِ إلَّا اخْتارَ أيْسَرَهُما ما لَمْ يَأْثَمْ، فإذا كانَ الإثْمُ كانَ أبْعَدَهُما منه، واللَّهِ ما انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ في شيءٍ يُؤْتَى إلَيْهِ قَطُّ حتَّى تُنْتَهَكَ حُرُماتُ اللَّهِ؛ فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ»** متفق عليه.

كانَ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رَؤوفًا رحيمًا، وكان يحبُّ التيسيرَ على المسلِمين في كلِّ الأمورِ الـمُحتَملةِ لذلك، ومع ذلكَ فإنَّه كانَ وقَّافًا عندَ حُدودِ اللهِ ومحارمِه ويغضبُ لله أشدَّ الغَضبِ حتى يُزالَ الحرامُ، وفي هذا الحَديث تقولُ عائشةُ رضي الله عنها: «ما خُيِّرَ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بينَ أَمريْنِ إلا اختارَ أَيْسرَهما ما لم يأثمْ، فإذا كانَ الإثمُ كانَ أَبعدَهُما منه"، أي: إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان دائمًا ما يميلُ عندَ الاختِيارِ إلى السَّهلِ اليَسيرِ، إلَّا أنْ يكونَ في ذلكَ وقوعٌ في الحُرماتِ أو المعْصيةِ، فإذا رأى أنَّ في التيسيرِ دُخولًا في الإثم فإنَّه يأخذُ بالعزائمِ والشِّدَّةِ... وكانَ من حُسن خُلُقِه أنه يُسامِحُ في حَقِّ نفسِهِ، تقولُ عائشةُ رضي الله عنها: «واللهِ ما انتقَمَ لنفسِهِ في شيءٍ يُؤتى إليه قطُّ، حتى تُنتَهكَ حرماتُ اللهِ، فينتقمُ للهِ» أي: إنَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يكنْ ينتقِمُ ويَبطِشُ بأحدٍ إلا إذا انتُهِكتْ حُرماتُ الله بالتَّعدِّي عليها وارْتكابِ المعاصي، فَحينئذٍ يكونُ أشدَّ الناسِ انتقامًا للأخذِ بحقِّ اللهِ. وفي الحديثِ: إرشادٌ للمسلمينَ إلى أَنْ يكونَ سبيلُ حَياتِهم على التيسيرِ والمـسامحةِ والبعدِ عن التشدُّدِ المبالَغِ فيه، مع الوقوفِ عندَ حُرماتِ اللهِ وحُدودِه؛ فلا تُرتكَبُ المعاصي والذُّنوبُ، ولا يُنتَهكُ حقُّ اللهِ في المجتمعِ المسلمِ، فإذا حدَثَ ذلكَ وجَبَ على المسلمِ الغضَبُ للهِ مُقتدِيًا بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، مع مُراعاةِ وَضعِ الأُمورِ في نِصابِها، وأن يكونَ الغضبُ في مَحلِّهِ ولا يَتجاوَزَه إلى أَكثرَ منه حتَّى لا يُفسِدَ من حيثُ أرادَ الإصلاحَ. ■

زَيْدٌ بْنُ عَمْرُو بْنُ نَفِيْلٍ

توفي على الحنيفية السمحة

قبل بعثة الرسول ﷺ

زيد بن نفيل من أهل مكة، ولد وتوفي قبل بعثة النبي ﷺ بخمس سنوات؛ ولكنه لم يكن كغيره ممن ورثوا ديانة الوثنية وعبد أحجارها، بل كان من أصحاب العقول النيِّرة والنفوس الخيِّرة، أنِفتْ فطرته أن تهوي به إلى باطل اليهودية أو النصرانية، فكانت خير مثال لفطرة الله التي فطر الناس عليها، ولشدة ما استمالته فطرته إلى العبادة الحقَّة فقد عبر الهضاب والروابي باحثًا عن الدين الحق... ولما لم يجده عند أحد وطَّن نفسه على أن لا يعبد إلا الله، وكان يقول «**أنا على ملة أبينا إبراهيم وإن كنت لا أعرفها**»... فمن هو هذا الذي وصفه الرسول ﷺ بأنه أمة؟!

إنه والد سعيد بن زيد رضي الله عنه (أحد العشرة المبشرين بالجنة) وابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان حنيفيًا على دين الخليل إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، قبل أن يبعث النبي برسالة الإسلام، فقد كان يرى في الأصنام المنصوبة في بيت الله الحرام أنها لا تسمع ولا تبصر ولا تغني من الحق شيئًا، ويرى أن وراء عبادتها ضلالًا ما بعده ضلال، ويرى أنها أورثت معتنقيها عادات وتقاليد تافهة ظالمة أدت فيما أدت إلى وأد البنات... فخرج من مكة راغبًا في الحق، يفتِّش عنه في الصوامع والبِيَع والصلوات فلا يجده، ويسأل عنه الرهبان والعبَّاد والأحبار فلا يقتنع بما عرضوا عليه... روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما: «**خَرَجَ زَيْدُ بْنُ نَفِيْلٍ إِلَى الشام يَسْأَلُ عَنْ الدِّينِ وَيَتْبَعُهُ، فَلَقِيَ عَالِمًا مِنْ الْيَهُودِ، فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِمْ. فَقَالَ: إِنِّي لَعَلِّي أَنْ أَدِينَ دِينَكُمْ فَأَخْبِرْنِي. فَقَالَ: لَا تَكُونُ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ. قَالَ زَيْدٌ: مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، وَلَا أَحْمِلُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنَّى أَسْتَطِيعُهُ. فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ. قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا. قَالَ زَيْدٌ: وَمَا الْحَنِيفُ. قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ، لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ. فَخَرَجَ زَيْدٌ فَلَقِيَ عَالِمًا مِنْ النَّصَارَى، فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَقَالَ: لَنْ تَكُونَ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ. قَالَ: مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، وَلَا أَحْمِلُ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَلَا مِنْ غَضَبِهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنَّى أَسْتَطِيعُ، فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ. قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا. قَالَ: وَمَا الْحَنِيفُ. قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ، لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ. فَلَمَّا رَأَى زَيْدٌ قَوْلَهُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ**

عَلَيْهِ السَّلَام خَرَجَ، فَلَمَّا بَرَزَ رَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنِّي عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ». وعن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالت: رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة، يقول: يا معاشر قريش، واللهِ ما منكم على دين إبراهيم غيري، ثم يقول: اللَّهم لو أعلم أحبَّ الوجوه إليك عبدتك به، ولكني لا أعلم». وتذكر أسماء: وكان يسجد على راحته، وكان يصلي إلى الكعبة ويقول: «إلهي إله إبراهيم، وديني دين إبراهيم» [البخاري]

ولم يكن مكث عمرو في مكة إلا انتظارًا للنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، فلقد أرشده بعض الرهبان إلى قرب مخرج نبي مرسل، في أرض الحجاز، يقول زيد نفسه: «شَامَمْتُ النَّصْرَانِيَّةَ وَالْيَهُودِيَّةَ فَكَرِهْتُهُمَا، فَكُنْتُ بِالشَّامِ وَمَا وَالَاهُ حَتَّى أَتَيْتُ رَاهِبًا فِي صَوْمَعَةٍ، فَوَقَفْتُ عَلَيْهِ، فَذَكَرْتُ لَهُ اغْتِرَابِي عَنْ قَوْمِي وَكَرَاهَتِي عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَالْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ، فَقَالَ لِي: أَرَاكَ تُرِيدُ دِينَ إِبْرَاهِيمَ يَا أَخَا أَهْلِ مَكَّةَ، إِنَّكَ لَتَطْلُبُ دِينًا مَا يُؤْخَذُ الْيَوْمَ بِهِ، وَهُوَ دِينُ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ كَانَ حَنِيفًا لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا كَانَ يُصَلِّي وَيَسْجُدُ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي بِبِلَادِكَ فَالْحَقْ بِبَلَدِكَ، فَإِنَّ نَبِيًّا يُبْعَثُ مِنْ قَوْمِكَ فِي بَلَدِكَ يَأْتِي بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ بِالْحَنِيفِيَّةِ، وَهُوَ أَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ». قال ابن إسحاق: «وَأَمَّا زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ فَوَقَفَ، فَلَمْ يَدْخُلْ فِي يَهُودِيَّةٍ وَلَا نَصْرَانِيَّةٍ، وَفَارَقَ دِينَ قَوْمِهِ، فَاعْتَزَلَ الْأَوْثَانَ وَالْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَالذَّبَائِحَ الَّتِي»تُذْبَحُ عَلَى الْأَوْثَانِ وَنَهَى عَنْ قَتْلِ الْمَوْءُودَةِ، وَقَالَ: أَعْبُدُ رَبَّ إِبْرَاهِيمَ، وَبَادَى قَوْمَهُ بِعَيْبِ مَا هُمْ عَلَيْهِ».وهو صاحب البيت المشهور، الذي قاله يعيب على قومه عبادة الأصنام:

أَرَبًّا وَاحِدًا أَمْ أَلْفَ رَبٍّ أَدِينُ إِذَا تُقُسِّمَتْ الْأُمُورُ

وجاهر بعداء الأوثان، فتألَّب عليه جمع من قريش، فأخرجوه من مكة، فانصرف إلى حراء، فسلّط عليه عمه الخطاب شبانًا لا يدعونه يدخل مكة، فكان لا يدخلها إلا سرًّا.

روى البخاري عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح (اسم موضع بالحجاز قرب مكة)، قبل أن ينزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوحي، فقدمت إلى النبي صلى الله عليه وسلم سفرة فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: «إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه». وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: «الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله» إنكارًا لذلك وإعظامًا له.

وكان يحيى الموؤودة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها أنا أكفيك مؤنتها، فلقد كان يرى الرجل يحمل ابنته الصغيرة على ذراعيه مسرعًا بها نحو حفرة تلتهب بالرمضاء ليدسَّها فيها، فينهضُ مسرعًا ويعترضُ طريقه، ويتوسَّل إليه ألا يفعل، فإذا أصرَّ «أن يقتل ابنته قال له: لا تقتلها ادفعها إليَّ أكفلها، فإذا ترعرعت فخذها، وإن شئت فادفعها» رواه البخاري. ثم يأخذ تلك

البريئة الضعيفة، يحملها إلى بيته يرعاها ويحنو عليها؛ لأنه يعلم أن الله أرحم من عباده، وأنه لم يخلقها لتدفن بعد مولدها. وكان وأد البنات عندهم يتم بطريقتين:

الطريقة الأولى: أن تأتي المرأة الحامل على وشك الوضع إلى حفرة تحفر، فتكون عند الحفرة، وتأتي القابلة التي تستلم المولود، فتولد المرأة، فإذا خرج ذكراً أبقته، وإذا خرجت أنثى ألقيت في الحفرة مباشرة.

والطريقة الثاني: أن بعضهم كان يستأني بها، وينتظر، فلم يدفنها مباشرة، فإذا بلغت سبع سنين، قال لأمها: زينيها؛ لأزور بها أقاربها، فإذا زينتها وجملتها أخذها في الطريق إلى بئر، ثم قال: انظري فيه، فإذا نظرت، دفعها من خلف، فوقعت على رأسها، وطمَّ عليها الحجارة والتراب، وتموت قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [النحل:٥٨-٥٩].

أما عن وفاته، فقد كان زيد بن عمرو بن نفيل أمةً وحده، وسيبعث عندما تبعث الأمم «أمة وحده يوم القيامة»، وقد توفي قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخمس سنوات. وقد جاء ابنه سعيد بن زيد رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن أبي كان كما رأيتَ وكما بلغك، فاستغفر له، قال: «**نعم، فإنه يكون يوم القيامة أمة وحده**» [٨]. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ أَنَّهُ كَانَ يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَيَقُولُ: إِلَهِي إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَدِينِي دِينُ إِبْرَاهِيمَ وَيَسْجُدُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُحْشَرُ ذَاكَ أُمَّةً وَحْدَهُ بَيْنِي وَبَين عِيسَى بن مَرْيَم». وكان سعيد بن المسيب يذكر زيد بن عمرو بن نفيل، فقال: توفى وقريش تَبْنِي الْكَعْبَةَ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ الْوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ سِنِينَ، وَلَقَدْ نَزَلَ بِهِ (الموت) وَإِنَّهُ لَيَقُولُ: أَنَا عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ

قال عامر بن ربيعة حليف بني عدي بن كعب: قال لي زيد بن عمرو: «إني خالفت قومي، واتبعت ملة إبراهيم وإسماعيل، وما كانا يعبدان، وكانا يصليان إلى هذه القبلة، وأنا انتظر نبيًّا من بني إسماعيل يبعث، ولا أراني أدركه" هذا إحساسه «وأنا أومن به، وأصدقه، وأشهد أنه نبي» من قبل البعثة شهد أنه نبي؛ لأنه قد علم أنه سيبعث؛ ولكنه لم يبعث بعد، ولم يظهر، ولم يخرج. فأشهد الله والناس أنه يؤمن ببعثة النبي ﷺ، ولم يعرفه. يقول زيد بن عمرو لعامر بن ربيعة: «وإن طالت بك حياة، فاقرئه مني السلام». قال عامر: «فلما أسلمت أعلمت النبي ﷺ بخبره، قال: فرد ﷺ وترحَّم عليه، وقال: ولقد رأيته في الجنة يسحب ذيولًا (مما أسبغ الله عليه من الثياب والنعيم)» فتح الباري ■.

قالت صحيفة واشنطن بوست إن سلسلة الإجراءات التي اتخذها ولي العهد السعودي محمد بن سلمان ضد «المؤسسة الوهابية" تهدف إلى أن تكون إعادة صياغة للاتفاق بين الأسرة الحاكمة وتلك المؤسسة والذي تأسست عليه المملكة. وقالت الصحيفة إن ابن سلمان يستهدف بهذا التوجّه كسب شعبيّة لدى جيل الشباب التوَّاق إلى الانعتاق من السلطة الدينية، والأهم من ذلك مزيد من تركيز السلطة في يده، في إطار استعداده لترتيب خلافته العرش عند وفاة الملك سلمان". ويظهر تقليم أظافر السلطة الدينية بوضوح أكبر في نطاق عمل وزارات العدل والشؤون الإسلامية والتربية؛ حيث تخندقت المؤسسة الدينية، ولعبت لعقود طويلة دورًا تقريريًا في تحديد شكل السعودية من خلال الفتاوى والتعاليم التي تحكم حياة السعوديين، بل تتعدَّى حدود المملكة إلى دول أخرى تسيطر الرياض على المؤسسات الدينية فيها. وأشارت إلى سياسة اعتقال الكثير من رجال الدين الذين لم يستجيبوا لأوامره.

الوعي: نعم، لقد تأسست العلاقة بين آل سعود وآل الشيخ بما يتوافق مع سياسة فصل الدين عن الحياة وبالتالي عن الدولة: الحكم والسياسة لآل سعود، والشؤون الدينية المتعلقة بالأمور الفردية التعبدية لآل الشيخ، وجعلوا هذه العلاقة تنتظم تحت مقولة أن أولياء الأمر هم آل سعود ويجب طاعتهم طاعة مطلقة. وقد خدمت المؤسسة الدينية هذه، بما أعطيت من إمكانات مادية وإعلامية سياسة آل سعود **داخليًا** بأن شكلت حزام أمان للدولة من أي معارضة سياسية أو دينية تهدد حكم آل سعود، **وخارجيًا** بأن أصبح لها امتداد خارج الحدود، سواء على الصعيد الرسمي أو الشعبي، يخدم سياسة المملكة في الخارج، فقد كشف ولي العهد السعودي في ٢٠١٨/٠٣/١٧م المستور حين صرَّح لصحيفة «واشنطن بوست» الأمريكية، وكان إلى جانبه مفتي المملكة، أن انتشار الفكر الوهابي في بلاده يعود إلى فترة الحرب الباردة عندما طلبت دول حليفة من السعودية استخدام أموالها لمنع تقدم الاتحاد السوفياتي في دول العالم الإسلامي وأعلن: «والآن نريد العودة إلى الطريق». وقد اعتمدت هذه المؤسسة الدينية سياسة التأييد والتبرير الكامل لكل ما يتخذه ابن سلمان من قرارات مهما كانت معارضتها قطعية للشرع ومنها الصلح مع يهود الذي كان يزمع ابن سلمان الدخول فيه فيما لو أعيد انتخاب ترامب، ومنها إنشاء ما سمي بالملاهي الشرعية، ومنها إقامة (صنم) تمثال الحرية، حتى وصل في تحديثه المزعوم للدين إلى ما يمكن أن يتهم به في دينه عندما صرَّح أن خبر الآحاد لا يفيد العمل ما يؤدي إلى تعطيل الشريعة. وفي الحقيقة إن هذه المؤسسة الدينية تشهد تعرية لها غير مسبوقة في مواقفها... وإننا ندعوهم لأن يتوقفوا عن السير مع ابن سلمان إلى الجحيم؛ وذلك بمواجهته والعمل على تغييره، هو وسائر حكام المنطقة، وذلك بالانضمام إلى العمل الجاد لإقامة الخلافة الراشدة، وأن يكون الرسول ﷺ هو إمامهم وقدوتهم في التغيير لا ابن سلمان. ■

الشيخ أسامة الرفاعي: نساء منظمات المجتمع المدني مجنَّدات من الأمم المتحدة والغرب لإفساد نسائنا

أثار الشيخ أسامة الرفاعي، بحسب تسجيل مصور نشره «المجلس الإسلامي السوري» الذي يرأسه ويتكون من ١٢٨ عالم دين وداعية إسلاميًا، جدلًا واسعًا بعد خطبة ألقاها في أحد مساجد مدينة إعزاز بريف مدينة حلب، وفيها هاجم منظمات المجتمع المدني، ووصف نساءً يعملن فيها بأنهن "مجنَّدات من الأمم المتحدة والغرب" وقال: «هناك نساء من أبناء جلدتنا ويتكلمون بلغتنا، بل هم من أبناء بلدنا ومدننا. يأتون مجنَّدات من قبل الأمم المتحدة وغيرها». وأضاف: «يأتون من مراكز التضليل والتفكير لينشروا بين فتياتنا خاصة بما يسمونه تحرير المرأة والجندر» وذكر: «يقولون لنسائنا إنَّكن مستعبَدات لهذا الزوج أو الأب أو الأخ الكبير. إياكِ أن تسمعي الكلام وتطيعي أمره. خذي حريتك كاملة. وبعد ذلك يسرِّبون لهنَّ الأخلاق الضالَّة المضِلَّة ويسرِّبون لهنَّ العريَ والتعرِّي وكل ما يخرج عن دائرة الإسلام. هؤلاء مجنَّدات من الدوائر الكبرى في الغرب لإفساد نسائنا"؛ ولكن سرعان ما انبرت جهات علمانية مشبوهة لا تختلف في نشأتها عن تلك المنظمات النسوية التي تدَّعي أنها تنشط بمجال الدفاع عن حقوق المرأة السورية، وذلك من مثل: منظمة «اللوبي النسوي السوري» ومنظمة «مساواة» و«الشبكة السورية لحقوق الإنسان» التي قامت بعرض إحصاءات وتقارير مشبوهة مثلها لتقول: إن ما لا يقل عن ٦٧ امرأة استُهدفهن في الشمال الغربي، والشمال الشرقي من سوريا، في الفترة الممتدة بين مارس ٢٠٢٠م، ومارس ٢٠٢١م، وذلك على خلفية عملهنَّ، ولفتت إلى استمرار الانتهاكات «الفظيعة» بحق المرأة السورية، بالإضافة إلى انتهاك حقِّها في العمل، والتمييز على أساس الجنس... وغير ذلك من الإسطوانة المشروخة التي اعتادوا إسماعها للناس. ووصفت رهف الدغلي وهي دكتورة في العلوم السياسية في جامعة لانكستر ببريطانيا بأن ذلك الخطاب يقوم على شيطنة الآخر تحت مسميات كثيرة منها الانفلات الأخلاقي" وقالت: «خطاب الرفاعي يشرعن العنف ضد المرأة ويضعها في سياق الآخر، والذي يتم شيطنته لمجرد خروجه عما هو متعارف عليه عرفيًّا واجتماعيًّا».

الوعي: هذه كانت جوقة المتحلِّلين من الدين، وهم شرذمة قليلون تابعون، من الذين يريدون تغيير الدين وتبديله وتعديله من منطلق (أخرجوا المسلمين من قريتكم إنهم أناس يتطهَّرون) أما المسلمون، من داخل البلد ومن خارجه، باعتبار أن الأمة واحدة، والهم واحد، والذي يعني لهم الإسلام الكثير، فقد لقيت خطبته عندهم تأييدًا واسعًا ما يشير بوضوح إلى وعي عام عند الأمة على ما يخطَّط لهم؛ لذلك قابله خوف وحذر من هؤلاء الناشطات وامتناعهن عن التصريح خوفًا على سلامتهن؛ من هنا سارع الآخرون من المنظمات المجتمع المدني والمثقفين العلمانيين المنتفشين، وأبواق الإعلام التابع للغرب إلى الدفاع عنهنَّ بالنيابة. ■